

قِصَّةُ عَقِيدَة

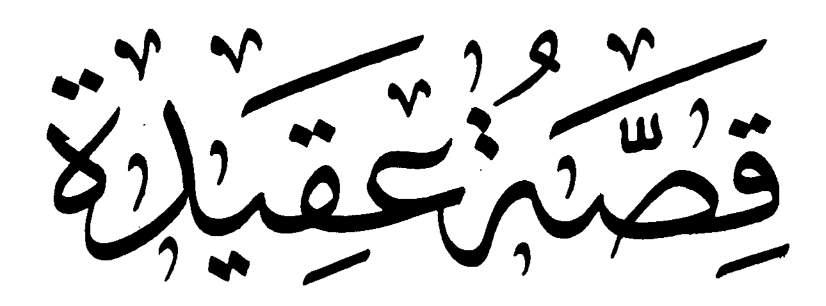
أحاديث إذاعيّة ومقالات صحفيّة

تأليف الدكتور
فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي

لا إله إلا الله
محمد رسول الله



مكتبة التوبة



قصة عقيدة

أحاديث إذاعية ومقالات صحفية

تأليف الدكتور
فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي



مكتبة
التوبة



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. . .

أما بعد:

فهذه مجموعة من الأحاديث الإذاعية والمقالات الصحفية أذيعت متفرقة، ونشرت مشتتة. فلعل في نشرها مجتمعة فائدة.

وقد آثرت أن أقدمها للقارىء كما قدمتها للسامع على ما بينها من فرقٍ، محافظاً على الأسلوب، وحتى صيغ النداء، وكان فيها اقتباس معنوي لفكرة لا تمكن الإشارة إليه إذاعةً، وعَزَّ إدراكه وتحديده من بعد، فأبقيته غفلاً من الإشارة.

أدعو الله أن يجعله خالصاً لوجهه إنه سميع مجيب وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. . .

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ - ١٩٩٤م



الرياض - المملكة العربية السعودية - شارع جرير
هاتف ٤٧٦٣٤٢١ ص. ب ١٨٢٩٠ الرمز ١١٤١٥

سر نهضة الأمـة

الحمـد لله الذي أنـزل على عبده الكتـاب ولم يجعل لـه عـوجـاً، وصلى الله وسلم على من أرسله الله ليخـرج النـاس من الـظلمـات إلى النور. . . وبعد

حين أنزل الله القرآن الكريم وأرسل به نبيه محمداً ﷺ لم يُرسله إلى أمة نَبَغَت في علومها وتفوقت في معارفها، أو بلغت شأواً في الرقي والتقدم إذاً لوجد المشككون فجوة ينفذون منها لإنكار فضل القرآن ولنسبوا أثره إلى واقع الأمة وحالها، ولكن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أرسله إلى أمةٍ كانت قبائل مشتتة، لا صلة دينية توحد صفوفهم، ولا مصلحة اقتصادية تضمهم، ولا رابطة سياسية تربطهم، ولا سلام يسـود بينهم، ديدنهم تـوارث العداوات والأحقاد، وشغلهم الحروب والغـارات ودأبهم السلب والنهب، ومعبودهم الأصنام والأوثان.

إن نظرت إلى مجتمعهم وجدتهم قبائل رحل تشتعل الحروب بينهم عشـرات السنين لأوهى الأسباب. واسـألوا داحس والغبـراء والبسـوس إن شئتم.

وإن نظرت إلى اقتصادهم وجدته في أدنى الدرجات، لا يعرفون من التجارة إلا أطرافها، وَجُلُّ ما لهم الإبل والغنم، ينتقلون بها من مرعى إلى آخر، يتغذون بلحومها، ويشربون ألبانها، ويتدثرون بأصوافهـا، اللهم إلا

قليلاً من رجالهم يرحلون صيفاً إلى الشام، وشتاءً إلى اليمن، يقـايضون بأنعامهم ونتاجها حُلِيًّاً وأقمشة، وهؤلاء وأولئك لا يعرفون سبيل الصنـاعة والإنتاج.

ولو نظرت إلى علومهم لرأيتهم على أقصى درجات الجهـالة. أُمَّـةً أُمِّيَّةً، لا تقرأ ولا تكتب، ولا يعرف أنهم برزوا في علم من العلوم، ولا في فن من الفنون، اللهم إلا الشعر! وما يغني الشعر في مثل هذا المجتمع؟! وما الحاجة إليه؟! إلا أن تكون لايقاد نار حربٍ، أو زيادة اشتعالهـا، أو لفخر جاهلي.

ولـو نظرت إلى سيـاستهم لم تجد لهم عـلاقات سيـاسية بـالـدول المحيطة بهم، كفارس والروم والقبط والأحباش، اللهم إلا علاقات أفراد لا تشكل سياسة عامة. ولم تَمُدَّ الدول المجاورة أيديها لهم لإيجاد علاقات سياسية لا لشيء إلا لأنهم خفاف الوزن في نظر الأمم جميعاً، إضافة إلى أن موقعهم الجغرافي بعيد عن مضطرب الأمم المتمدنة حينذاك.

يا أيها الناس:

لست هنا أؤرخ لهذه الأمـة في تلك الفترة، ولكني أريـد أن أقدم صورة واضحة لهذا المجتمع حتى نعرف مدى التأثير الذي أحدثه القرآن فيهم، ونعرف التأثير الذي يمكن أن يحدثه في الأمم التالية.

نزل القرآن على هذه الأمة بواسطة نبيها محمد ﷺ، فلم تلبث إلا سنوات قلائل حتى دبت فيها الحياة وسرت في جسدها سريانها في الأرض الخاشعة إذ نزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج؛ فوحد كلمتها، وجمع شملها، وسارت تحت راية واحدة؛ راية الإيمان، ونهضت نهضة قوية، وسارت وفودها في العالم سيرة القويّ الأمين، وصالت جيوشها صولة القادر العادل، فإذا بها أمة الأمم وجالية الظُّلْمِ والظُّلَمِ، وصاحبـة السيف والقلم.

ولا يزال التاريخ يحدثنا عن مآثر هذه الأمة في البلاد المفتوحة، ويسطر بأحرف من نور فترة الحكم الإسلامي لهذه الدول، وسيظل ـ بإذن الله ـ تاريخها زهرة التواريخ، وستظل آدابها ينبوع الآداب والأخلاق.

وما علينا والرسول ﷺ قد بيّن أن قرنه خير القرون، فبالله عليكم بأي شيء ارتقى هذا الجيل من الجاهلية التي ألمعنا إلى شيء من صور جاهليتها إلى هذه المنزلة التي صارت بها الأمة المثالية.

لا شك أن الأصابع ستشير بأكفها: ـ إنّه القرآن، فلنبحث عن السر في القرآن إذن.

كيف خَرَّجَ القرآن هذا الجيل المميز في تاريخ الإسلام، بل في تاريخ البشرية كلها، ثم لم يعد يَخْرُجُ مثل هذا الجيل مرة أخرى؟! لا أنكر وجود أفراد في الأجيال التالية يقتربون من أفراد ذاك الجيل، لكن لم يحدث قط أن تجمع مثل جمع الصحابة في جيل واحد كما تجمعوا في الجيل الأول[1].

هذه حقيقة لا تنكر، فلنتأمل فيها علّنا نصل إلى سر نهضتنا فنأخذ به في وقت نحن أحوج ما نكون إليه.

ترى ما سر نهضة هذه الأمة؟

القرآن هو ما يزال بين أيدينا كما أنزل وسنة الرسول ﷺ لا تزال بين أيدينا أيضا، ولم يغب عنا إلا شخص الرسول ﷺ فهل هو سر النهضة؟! لو كان الأمر كذلك لما كانت دعوته للناس كافة بل كانت مربوطة بشخصه وبحياته، ولتكفل الله بإبقائه حَيًّا فعلم أن الأمر ليس مربوطاً بشخص الرسول ﷺ.

---

(١) انظر معالم في الطريق: سيد قطب ص ١١ الاتحاد الإسلامي العالمي الطبعة الثالثة ١٤٠٣.

فلنبحث إذن عن سبب آخر.

إن تعهد الله سبحانه وتعالى بحفظ القرآن: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ مع جعله سبحانه الدعوة للناس كافة، يدل على أن مناط الدعوة هو القرآن الكريم، وإن سر بقائها هو في بقاء القرآن.

وإذا كان الأمر كذلك فإن سؤالاً عريضاً يكاد يسد الأفق يقول: ــ لِمَ لَمْ يتحقق للأجيال التالية ما تحقق للجيل الأول ما دام القرآن هو القرآن لم يتغير ولم يتبدل؟

وإذا ما أردنا الحصول على إجابة صادقة فلنتأمل الصلة بين الجيل الأول والقرآن من جهة، وبيننا وبين القرآن من جهة أخرى، فلعل الفارق يكون هنا.

كان الجيل الأول لا ينهل إلا من القرآن، وهدي الرسول ﷺ وما هديه إلا من نبع القرآن. وكانت الحضارات تحيط بالقوم حضارة الرومان، وحضارة الفرس، ومخلفات الحضارة الاغريقية، وحضارات أخرى قاصية ودانية حضارة الهند وحضارة الصين. وكانت اليهودية والنصرانية تعيش بين أظهر القوم في المدينة، وفي نجران، واليمن، ومع ذلك كان منهج التلقي عند الجيل الأول مقصوراً بقصدٍ على القرآن الكريم، وحين أقول بقصدٍ فإني أعني ما أقول وأعيه. نعم القرآن وحده، لا شيء سواه ــ وهدي الرسول ﷺ من نبع القرآن كما أسلفت ولذلك غضب الرسول ﷺ حين رأى في يد عمر رضي الله عنه قطعة من التوراة وقال له: «لو كان أخي موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني» أو كما قال عليه الصلاة والسلام بل قال عليه الصلاة والسلام وهو يرسم لهم منهج التلقي مظهراً حرصه على صفاء النبع: «لا تكتبوا عني شيئاً غير القرآن ومن كتب عني شيئاً غير القرآن فليمحه».

أي حرص يظهره الرسول ﷺ على صفاء النبع القرآني في فترة التكوين الأولى.

هذه ظاهرة في منهج التلقي للقرآن عند الجيل الأول ينبغي الوقوف عليها، وظاهرة أخرى نراها ترسم لنا بوضوح العلاقة بين هذا الجيل والقرآن. وهي أن هذا الجيل جيل الصحابة رضوان الله عليهم لم يكن أحدهم يقرأ القرآن لتذوق أساليب اللغة العربية، أو لمجرد الثقافة البحتة، أو يحفظ آيات ليستشهد بها في المناسبات واللقاءات، أو ليتلوه في الاحتفالات والمناسبات أو ليتكسب في حفظه أو تلاوته بل كان هذا الجيل يتلقى القرآن ليترجمه من فوره بعد فهمه إلى عمل جاد وتطبيق كامل. ولذلك كان الصحابي يَحُسُّ وهو يقرأ أنه إنما يتحمل واجبات وتكاليف فيقرأ من الآيات ما يستطيع حمله من تكاليفها، ولذلك قال أبو عبد الرحمٰن السلمي حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل. قالوا فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً.

إذن فقد كان منهجهم منهج التلقي للتنفيذ وكان هذا المنهج وحده يفتح لهم آفاقاً من الفهم والمعرفة لا تفتح لمن سلك منهجاً غيره، وكان هذا المنهج يمزج بين أرواحهم وبين القرآن، ويخلط القرآن بذواتهم فيحولها إلى منهج واقعي، ويتحول الرجل إلى الرجل القرآني.

خلاصة الأمر أن علاقتهم رضي الله عنهم تقوم على منهجين أساسين (أحدهما) الاقتصار على نبع القرآن الصافي والسنة المبينة للقرآن، (وثانيهما) التلقي للتنفيذ والتطبيق الفوري. فوصلوا إلى ما وصلوا إليه.

ثم ما الذي حدث بعد ذلك؟! حدث أن صبت ينابيع في ذلك النبع الصافي فصبت فلسفة الإغريق، وأساطير الفرس، وإسرائيليات اليهود والنصارى، ورواسب الحضارات والثقافات، واختلط هذا كله بتفسير القرآن الكريم ــ فعكر صفوه فتكدر صفاء الجيل.

ودرس قوم القرآن لمناصب دنيوية، وأهداف زائفة، وأغراض هابطة، وقرأه آخرون فلم يجاوز حناجرهم.

فَخَرَّجَ منهجُ التلقي للتنفيذ... جيلَ الصحابة رضوان الله عليهم.
وخَرَّجَ المنهجُ الآخر الأجيالَ التالية.
فهل نتعظ... وهل نستفيد ونستعيد[1].

■ ■ ■

(١) اقتبست هذا الموضوع من فصل (جيل قرآني فريد) من كتاب سيد قطب رحمه الله تعالى (معالم في الطريق) ومن أراد حسن العبارة وسعة المعنى فليرجع إليه.

شخصية المعلِّم في سيرة الرسول ﷺ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وقدوة المعلمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد

حين أسكن إبراهيم عليه السلام ذريته في واد غير ذي زرع خاف عليهم العدو الألدَّ (الجهل) فدعا الله أن يرسل إليهم رسولاً معلماً فقال: — كما حكاه عنه القرآن الكريم: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٢٩].

وقد استجاب الله دعوته فقال سبحانه: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٥١].

وامتن الله سبحانه بهذا على الأمة فقال: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٦٤].

وقال سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾.

يا رجال الفكر والتربية:

إذا كان الله ـ عز شأنه ـ أرسل نبيه محمداً ﷺ معلماً فهلموا نستقي من منهجه أصولَ التربية، وننهل من معينه قواعدَ التعليم، وإذا كانت العملية التربوية تقوم على عوامل أربعة:

المعلم، والمنهج، والمادة العلمية، والطالب، فكيف كانت العملية التربوية عند الرسول ﷺ؟

ليس بوسعنا في هذا الحديث السريع أن نعرض لهذه العوامل كلها، فلنتحدث عن جوانب من شخصية المعلم في سيرته ﷺ.

أما شخصيته، فقد كانت شخصية فذة ألقت عائشة رضي الله عنها، عَنَّا عبئاً كبيراً في تحديدها حين وصفت خُلُقَه بقولها: «كان خُلُقُه القرآن» ولا بأس علينا بعد هذا الوصف الدقيق أن نشير إلى بعض صفاته ﷺ فمنها:

الإخلاص:

فقد أمره الله ـ سبحانه ـ بذلك في مواضع عدة فقال سبحانه: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ [سورة الزمر، الآية: ٢]. وأمره الله أن يخبر أنه مأمور بالإخلاص: ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ [سورة الزمر، الآية: ١١]. وكرر ذلك: ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴾ [سورة الزمر، الآية: ١٤].

والإخلاص في العمل كما هو أصل في العقائد هو أصل في العملية التربوية فبدون الإخلاص تنهد أركان التعليم من أصولها.

الصفة الثانية والثالثة: الصدق والأمانة

واشتهار الرسول ﷺ بهاتين الصفتين بَيِّن لا يخفى، في الجاهلية وفي الإسلام، فقد كانوا في الجاهلية يصفونه بـ الصادق والأمين، وقالوا له: ـ

ما جربنا عليك كذباً، وحين سأل ملك الروم أبا سفيان قبل أن يسلم عن الرسول ﷺ هل يكذب؟ قال أبو سفيان: لا.

بل القرآن الكريم وصفه بذلك في مواضع فقال سبحانه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ وقال سبحانه: ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾. وقد عرف الرسول ﷺ بأنه لا يقول إلا حقاً في جَدِّه ومزحه.

وهاتان الصفتان: الصدق، والأمانة، من أهم الصفات التي يجب أن يتحلى بهما المعلم في علاقته مع تلاميذه، فإنه إن جَرَّب على تلاميذه كذباً ولو مرة واحدة فإن الثقة في قوله كله بعد ذلك وقبله ستنهار، ولذلك عصم الله سبحانه وتعالى نبيه قبل البعثة وبعدها، وأخبر سبحانه وتعالى عن نبيه بقوله ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ فأي عصمة أكبر من هذه العصمة، وأي منزلة للصدق أعلى من هذه المنزلة.

الصفة الرابعة: الرحمة:

فقد كان ﷺ رحيماً بأصحابه قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ وقال سبحانه وتعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾ بل كان عليه الصلاة والسلام هو الرحمة المُسْدَاةُ للأمة قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

والرحمة ـ أيها الأحبة ـ من أهم عناصر جذب التلاميذ لاستاذهم، وحين يجدونها عنده فإن أفئدتهم تَحنُّ إليه فيشعرون بالأمن والأمان وبهما يتحقق حسن الإصغاء والانتباه، وحين تُفقدُ هذه الخصلة في المعلم فإن التلاميذ سيشعرون بالخوف والرهبة اللذين يطغيان على الإصغاء فيذوب بين جناحيهما فلا يبقي لإصغائهم أثر في فهم ما يقال حتى وإن استكانت

الجوارح فإن العقول مشغولة، ولذا أخبر الله نبيه بأنه لـو كان فـظاً غليظ القلب لانفضوا من حوله، هذا وهو نبي.

والرحمة تُوَلِّدُ الحرص على جلب المصلحة ودفع المضرة عنهم وقد وصفه الله بذلك في قوله سبحانه: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.

وبيّن ﷺ حرصه على أمته بقوله: «إنما مَثَلي ومَثَلُ أمتي كَمَثَلِ رجل استوقد ناراً فجعلت الدوابُّ والفَرَاشُ يقعن فيه، فأنا آخذ بحُجَزِكُم وأنتم تَقَحَّمُون فيه» رواه مسلم.

ولا شك أن هذا الحرص من الرسول ﷺ منبعه الرحمة والشفقة على الأمة.

ويتولد من الرحمة الحلم على المخطىء وعدم المبادرة إلى العقاب، وخذوا هذه الحادثة واستنبطوا منها يا رجال التربية والتعليم ـ ما شئتم.

رُوي أن أعرابياً جاء إلى الرسول ﷺ يطلب منه شيئاً فأعطاه ثم قال: آاحسنت إليك؟ قال الأعرابي: ـ لا، ولا أجملتَ. فغضب المسلمـون وقاموا إليه، فأشار إليهم أن كُفُّوا، ثم قام ودخل منزله وأرسل إليه ﷺ وزاده شيئاً ثم قال: آاحسنت إليك؟ قال: ـ نعم، فجزاك الله من أهلٍ وعشيرةٍ خيراً، فقال له النبي ﷺ: ـ إنك قلتَ ما قلتَ وفي نفسِ أصحابي من ذلك شيئاً فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك، قال: نعم. فلما كان الغدُ أو العَشيُّ جاء فقال ﷺ: ـ إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضي أكذلك؟ قال: ـ نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً، فقال النبي ﷺ: ـ مَثَلي ومَثَلُ هذا مَثْلُ رجلٍ له ناقةُ شردت عليه فاتَّبعها الناسُ فلم يزيدوها إلا نفوراً، فناداهم صاحبها: ـ خلوا بيني وبين ناقتي، فإني أرفق بها منكم وأعلم، فتوجَّه لها بين يديها فأخذ لها من قُمَام الأرض فرَدَّها حتى جاءت واستناخت وشَدَّ عليها رحلها

واستوى عليها، وإنِّي لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار».

الصفة الخامسة: الصبـر:

وهو صفة لازمة للوصول إلى الهدف وبدونها تذهب الجهود، وتهدر الطاقات وتتبدد، ولهذا أمر الله نبيَّه ﷺ بالصبر: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ وغير ذلك.

وقد صبر عليه الصلاة والسلام، فأدَّى الأمانة وبَلَّغ الرسالة، وكان قدوة يجب أن تُحتذى، ومثالاً في التعليم يجب أن يقتدى به.

■ ■ ■



استقبال رمضان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين وبعد.

انطوت الشهور والأيام ودارت عجلة الزمان فإذا برمضان يعود إليها من جديد فأهلاً به وبشهره المبارك.

مستمعي الكرام:

كنت في مجلس يضم الصحاب والأحباب فالتفت متسائلاً: أيُّها الأحبّة... كلكم يذكر الأيام الماضية التي يعلن فيها إمام المسلمين عن إقامة صلاة الاستسقاء فيخرج لها المسلمون وتقام صلاتها في مدن البلاد، وهم يدعون الله بقلب خالص أن ينزل الغيث ويتفرق الجمع ولسانهم ما زال يلهج بالدعاء وما يزال الخطباء في الجمعة يدعون الله أن ينزل الغيث...

فإذا نزل رأيت أول آثاره في الوجوه مُشرقةً فرحةً... شاكرةً ربها كأنها قد أجدبت قبل ذلك حتى من الابتسامة.

ثم تسيل الشعاب والأودية وتظهر آثار رحمة الله بعباده فيذهبون زرافات ووحداناً إلى روضات الربيع وأماكن تجمع الأمطار فرحين مستبشرين...

أما الفلاح والمزارع فيفرح كثيراً بهذا الغيث أيضاً ولا يُفَرِّطُ أبداً في

الاستفادة منه، فموسم الغيث موسم يتحينه الزُّرَّاع، ويترصدونه، ليلقوا فيه بذورهم وليغرسوا فيه غراسهم.

ثم التفتُّ إلى الصحاب وقلت بالله عليكم أليس هذا هو واقعنا مع الغيث؟ فأجابوا أن نعم، ثم قلت هذا غيث الأجساد تشرق به الوجوه، وتمتلىء به الأودية والشعاب، وتخضرُّ به الأوراق، وتورق به الأشجار، فَهَلَّا سألتم عن غيث القلوب!! هل صلى أحدكم صلاة الاستسقاء لقلبه... إنَّ للقلوب غيثاً تحتاج إليه كما تحتاج الأرض إلى المطر، وَلَإنْ كان لغيث الأرض أوقات يقلُّ فيها أو يكثر فإنَّ لغيث القلوب أوقاتاً كذلك.

وقد ودعتنا شمس اليوم مخلفةً وراءها هلالاً معلناً دخول شهر ربيع القلوب فأهلاً بشهر رمضان وسهلاً... أهلاً بشهر يُزَكِّي ويُنَمِّي كلَّ ما تزلف فيه النفس من خير وبر.

وقلت للصحابة أيضاً أليس لكل منكم بيت يتعاهده بالحفظ والصيانة... يقوم بتنظيفه وترتيبه في كل يوم... ومنه ما يقوم بترتيبه وصيانته في كل أسبوع... ثم يقوم بصيانة عامة في كل سنة، يتفقد أرجاءه ويقوم بترميمه، وتنظيفه، وإعادة ترتيبه... إذا كنتم تفعلون ذلك فَهَلَّا تعاهدتم صحائف أعمالكم ـ كذلك ـ تنظرون إليها صباح كل يوم ومساءه، تحصون فيه سيئاتكم، وتستغفرون الله منها، وتنظرون فيها نظرة أخرى في نهاية كل أسبوع... فإذا جاء رمضان حرصتم على أن تمحوا بصيامه ذنوب العام كله... إنكم لو فعلتم ذلك لبقيت صحيفتكم نقية طاهرة تُغبطون عليها.

وليس في ذلك كبير مشقة ولكنه يحتاج إلى عزيمة صادقة وقد أرشدنا الرسول ﷺ إلى ما فيه تحقيق ذلك فقال عليه الصلاة والسلام: ـ «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهم إذا اجتنبت الكبائر».

وفي الحديث: «لو يعلم الناس ما في رمضان لتمنت أمتي أن يكون رمضان السَنَةَ كلها».

وعن عبادة مرفوعاً: «أتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه فينزل الرحمة ويحط الخطايا، ويستجيب فيه الدعاء، وينظر الله إلى تنافسكم فيه، ويباهي بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيراً فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله».

فاستبشروا ـ مستمعي الكرام ـ بدخول شهر رمضان فقد كان ﷺ يبشر أصحابه بقدوم شهر رمضان ويقول: «جاءكم شهر رمضان شهر مبارك كتب الله عليكم صيامه، فيه تفتح أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتُغَلُّ فيه الشياطين، وفيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم».

معشر المستمعين:

هل منكم من اتخذ عند الله عهداً أنه سيُنْسَأُ له في أجله حتى يلقى رمضان في عام قابل ـ معافى في بدنه... موفوراً في رزقه... آمناً في سربه... مُمُكَّناً من تدارك أمره... لا والله، ما منكم من أحدٍ هو كذلك... وأنه والله لمن التفريط أن يُسَوِّف المسلمُ في توبته وإنابته إلى الله وقد فُتِّحت في هذه الليلة المباركة أبوابُ الجنة، وغُلِّقَت أبواب النيران، وصفدت الشياطين، قال عليه الصلاة والسلام: «إذا كان أول ليلة من رمضان صُفِّدَت الشياطينُ ومردةُ الجن، وغُلِّقَت أبواب النيران، فلم يفتح منها باب، وفُتِّحت أبوابُ الجنة فلم يغلق منها باب، وينادي منادٍ يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر... ولله عتقاء من النار وذلك كلَّ ليلة».

وقال ﷺ: «إذا دخل شهر رمضان فُتِّحت أبواب السماء، وغُلِّقت أبوابُ جهنم، وسلسلت الشياطين».

فالبدار البدار بالتوبة قبل أن يجيء أَحدَنا اليومُ الذي يقول فيه: «رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت» أو يقول: «رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين».

يا قوم أجيبوا داعيِ الله وليكن أول أمر نشرع فيه للتـوبة أن نلتفت التفاتة يسيرة إلى الوراء نُحصي بها سيئاتنا وذنوبنا، ونعرف بها مدى تفريطنا وتقصيرنا، لنُعِدَّ من التوبة ما يمحـو ذنوب صحيفـة الأمس، ولنمح بمـاء العينين المسكوب مِدَادَ السيئات المكتوب، ولنُوَطِّن العزم على الإقلاع عن المعاصي، والإكثار من الطاعات.

تلكم هي خطوتُنا الأولى على طريق التوبة والإنابة... فإذا طَهَّـرنا قلوبنا من نبت السيئات فلنغرس فيه غرس الحسنات، ولنكثر في هذا الشهر الكريم من الأعمال الصالحة، فلندع الله سبحانه وتعالى بقلب خالص أن يأخذ بأيدينا إلى ما فيه الخير لنا في الدنيا والآخرة، ولنتدارك فيه ما فرطنا به في الأيام الخـالية، فهـو شهر لا كـالشهور؛ تضـاعف فيه الحسنـات، وتمحى فيه السيئات، ويكثر فيه العتقاء من النار، ومَنْ يدري فقد يكـون آخر شهر نُؤديه!! ومَنْ يدري هل ندرك من بعده رمضان آخر أم لا؟ وكم من رجل صام رمضان الماضي وهو يحسب أنه سيصوم رمضانـات أُخَر، وجاء هذا الشهر وهو في قبره، وكم من إنسان صام بعض أيامه مع الناس وقضى باقيه في قبره...

أيها الأحبة:

لا أريد أن أَقُضَّ مضاجعكم، أو أن أُنَغِّصَ معيشتكم، أو أن أنكـأَ جراحكم ولكنها الذكرى... تنفع المؤمنين...

■ ■ ■



غزوة بدر... قصة عقيدة

الحمد لله نصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، والصلاة والسلام على قائد المسلمين، وإمام المتقين، وسيد الغُرِّ المحجلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

أبناء الشرق... قاصياً ودانياً:

عن يوم بدر أكتب لكم عن يومٍ من أيامِ الإسلام الخالدة، فيه قامت دولة الإسلام ومنه انطلقت جيوشه التي غيرت وجه التاريخ.

كلكم يعلم كيف اضطهد المشركون رسولَ ﷺ وأصحابَه حتى اضطروهم إلى الهجرة تاركين ديارهم وأموالهم نهباً للمشركين... وتمادى المشركون في طغيانهم وافتخارهم بقوتهم وكثرتهم واستهانوا بالمسلمين وأذلوهم...

وآن الأوان ليأخذ المسلمون بحقهم من المشركين... الحقِّ المعنوي، والحقِّ المادي، فهذه قافلة تجارية لقريش يقودها أبو سفيان فيها ثلاثون رجلاً أو أربعون ولما سمع رسول الله ﷺ بهذه القافلة نَدَبَ الناس إليها وقال:

«هذه عيرُ قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله يُنْفِلُكُموها» فانتدب الناسَ فخف بعضهم وثقل بعضهم، لأنهم لم يَظُنوا أن رسول الله ﷺ سيلقى حرباً... فخرج معه ثلاث مئة وأربعة عشر رجلاً،

وأرسل رسول الله ﷺ رجلين يتحسسان خبر القافلة حتى إذا أتيا الحَوْرَاءَ أناخا راحلتيهما إلى مكان قريب من الماء ثم أخذا يستقيان فسمعا جاريتين تتحدثان عن وصول القافلة غداً أو بعد غدٍ فعادا أدراجهما إلى الرسول الله ﷺ يخبرانه بما سمعا.

وبالمقابل... كان أبو سفيان حَذراً في سيره مُتَرقِّباً لهجوم المسلمين على قافلته، فكان يستطلع الأخبار بنفسه، ويسأل مَنْ لقي من الركبان، حتى أخبره مخبر بأنه رأى راكبين قد أتيا إلى هذا المكان فأتى أبو سفيان مُنَاخَهما فأخذ من روث بعيريهما فَفَتَّه فوجد فيه نوىً فقال: هذه ـ والله ـ علائفُ يثرب هذه ـ والله ـ عيون محمد وأصحابه. ثم رجع فضرب وجه عِيرِه عن الطريق فسار نحو الساحل وترك بدراً بيسار، وأسرع يجدُّ السير، خوفاً من أن يُدرَك ـ وأرسل إلى مكة مَنْ يدعو المشركين إلى حماية قافلتهم... وهَبَّ المشركون يُحَرِّضُ بعضُهم بعضاً، ويَنْدِبُ بعضُهم بعضاً ومن هَمَّ بالتخلُّف شَنَؤُه وازدروه حتى يسبقهم إلى الخروج فقد رأى أميةُ بن خلف القعودَ فأتاه عقبة بن أبي مُعَيط، وأبو جهل، ومعهما مِجْمَرَةٌ فيها بخورٌ ومِكْحَلةٌ ومِرْوَدٌ فوضع عُقبة المجمرة بين يديه وقال: يا أبا علي استجمر فإنما أنت من النساء! وقال أبو جهل: اكتحل فإنما أنت امرأة! فقال أمية: ـ ابتاعوا لي أفضل بعير في الوادي...

فخرج المشركون بين التسع مئة والألف... والتقوا بالمسلمين في بدر على غير ميعاد... وهنا اختلف الأمر، وانقلبت القضية، فالمسلمون لم يخرجوا لحربٍ وإنما خرجوا للاستيلاء على قافلة، يقابلون فيها ثلاثين أو أربعين رجلاً، ولم يكن معهم عَتَادٌ ولا عِدَّةٌ، والمشركون خرجوا لحمايةِ القافلة وقد علموا بنجاتها وسلامتها... فما عسى أن يكون الأمر؟

أما المشركون فأصروا، واستكبروا ورأوا أن يقيموا ببدر ثلاثاً وينحرون

الجُزُر ويطعمون الطعـام، ويسقون الخمـر، تعزف عليهم القيـان، تسمع العرب بهم وبمسيرهم فلا يزالون يهابونهم.

أما المسلمون فقد رأوا أن في عودتهم أدراجهم ضعفاً عن القتال، وخوفاً من اللقاء، فيزدادون ذلة، ويزيد عدوهم قوةً وطغياناً واستهانة بهم!! بل ربما لحق بهم المشركون إلى المدينة فـلا يبقى لهم هيبة ولا مكـانة فتتجرأ القبائل على غزوهم ويُقضى على الدعوة في مهدها.

أقبل النبي ﷺ يستشير أصحابه رضي الله عنهم فقـال المهاجـرون: امضِ لأمر الله فنحن معك، وقالت الأنصار: ـ امض يا نبي الله لِمَا أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ما بقي منا رجل. فبشرهم الرسول ﷺ بالنصر...

ولما أقبل المشركون قال رسول الله ﷺ: «اللهم هذه قريش قد أقبلت بخَيْلَائها وفخرها تُحَادُّكَ وتكذب رسولك. اللهم فنصرك الذي وعدتني اللهم أحِنْهُم الغداةَ...»

أما قريش فقد تشاوروا في الرجوع فأشار عليهم عمير بن وهب بعد أن رأى جيش المسلمين فقال: يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا، نواضحُ يثرب تحمل الموت الناقع، قوم ليس معهم مَنَعةٌ ولا ملجأ إلا سيـوفَهم، والله ما أرى أن يقتل رجلٌ منهم حتى يقتل رجلاً منكم، فإذا أصابوا منكم أعدادَهم فما خيرُ العيش بعد ذلك؟

فلم يأخذ القوم برأيه. والتقى الجيشان صبيحة الجمعة السابع عشر من رمضان من السنة الثانية للهجرة، وما زال رسول الله ﷺ ينظم الصفوف ويدعو ربه ويقول: «اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد»، فيشفق عليـه أبو بكـر رضي الله عنه ثم يـرفع رداءه ويقـول: «يـا نبي الله بعض مناشدتك ربك، فإن الله منجزٌ لك ما وعدك».

وخرج رسول الله ﷺ إلى الناس فحرضهم وقال: «والذي نفس محمد

بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيُقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة» فقال عمير بن الحمام وفي يده تمرات يأكلهن: «بخٍ... بخٍ أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء؟!» ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل.

وأخذ رسول الله ﷺ حفنة من الحصباء فاستقبل بها قريشاً ثم قال: «شاهت الوجوه» ثم نفحهم بها وأمر أصحابه فقال: «شدوا» فكانت الهزيمة على المشركين فقتل من قتل من صناديد قريش وأُسِرَ من أُسِرَ من أشرافهم، وألقى المسلمون قتلى المشركين في قليب... وسمع الصحابة رسول الله ﷺ في جوف الليل ينادي:

«يا أهل القليب بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم، كذبتموني وصدقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتموني ونصرني الناس... ثم قال... هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً... فقال المسلمون: يا رسول الله: تنادي قوماً قد جيفوا؟ قال ما أنتم بأسمع لما أقول منهم»... أبناء الإسلام: تأملوا خروج المسلمين من المدينة لا يريدون قتالاً ولا يستعدوا له، فإذا بهم إمام من يفوقهم عدة وعتاداً... خرجوا يريدونها غنيمة فإذا بهم كأنما يساقون إلى الموت... خرجوا يريدون أمراً يسيراً فإذا بهم أمام ذاتِ الشوكة قال تعالى في خروجهم مع الرسول ﷺ وغرضهم من الخروج:

﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ٦ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٨﴾ ... الله أكبر... أرادها المسلمون قصة غنيمة، قصة قوم أغاروا على قافلة فغنموها... وأرادها الله سبحانه وتعالى

قصة عقيدة قصةً تحكي انتصار الحق على أعدائه المدججين بالسلاح المزودين بكل زاد... والحقُّ في قلة من العدد وضعفٍ في الزاد والراحلة... قصة انتصار قلوب مؤمنة قليلة على قلوب كافرة كثيرة.

أرادها الله منار يعلن للأجيال البشرية التالية قاعدة أصيلة للنصر في المعارك... وإن هذا الانتصار ليس حالة شاذة وليس بفلتةٍ عارضة ولا بصدفة عابرة وإنما هو يجري على سنة الله المحكمة أنه حيثما انطلقت العصبة المؤمنة في الأرض لنشر دين الله الحق وإعلاء كلمته فإن النصر حليفها والهزيمة لعدوها...

النصر لهذه العصبة ما استقامت على الطريقة، وآمنت بالعقيدة، وتوكلت على الله، واستعانت به وحده... كيف وقد بين الله سبب هزيمة المشركين في بدر بقوله عز شأنه: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾.

يا أصحاب العقول المفكرة:

ألا فاعلموا أن النصر ليس بالعدد ولا بالعُدَّة وليس بالمال والخيل والزاد ولا بالطائرات والدبابات والقنابل الذرية وحدها وإنما هو بمقدار اتصال القلوب بقوة الله التي لا تقف أمامها قوة العباد.

ألا فلتوقن كُلُّ جماعة مسلمة أنها تملك في كل زمان وفي كل مكان أن تغلب خصومها وأعداءها مهما تكن أعدادها قلة وضعفاً... ومهما يكن عدوها كثرة وقوة.

ولو استعرضنا التاريخ إلى يومنا هذا لرأينا كم من قوةٍ مادية انهزمت أمام القوة المعنوية قوة العقيدة والإيمان.

ألا أن بدراً تعلن للناس بملء فيها أن سبيل النصر في الحرب هو صحة العقيدة وسلامتها وكل قوة أمامها ضعيفة.

■ ■ ■

آداب تلاوة القرآن

الحمد لله الذي أنزل الفرقان رحمة للعالمين. ومناراً للمهتدين وضياءً للمستضيئين وجعله شفاءً للصدور، وربيعاً للقلوب، وهدىً للسالكين، وجعله عزاء للفقير في ضيعته، وواعظاً للغني في بهجته، وأنيساً للمستوحش في وحشته، ونجياً للمؤمن في خلوته، وهدىً للعالم برمته.

أودع فيه الهداية، وجعل فيه البشرى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ وجعل التزام حدوده فرضاً، والعمل بما جاء فيه حياة ترضى.

وما لنا والاطناب في صفاته والرسول ﷺ قد أجملها لنا في الحديث الذي رواه علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: ألا أنها ستكون فتنة، فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾.

من قال به صُدِّقَ، ومن عمل به أُجِرَ، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هَدَى إلى صراط مستقيم».

إذا كان هذا شأن القرآن فلا عجب إذا أمرنا الله سبحانه وتعالى بتلاوته في مواضع عديدة فقال سبحانه: ﴿ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾.

وقدم الله تلاوته على إقامة الصلاة في قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾ وقال سبحانه: ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ وقال عز وجل: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ (٩١) وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ ﴾.

يا عقولاً مفكرة:

كتاب كهذا الكتاب في فضله، ومكانته وفي الأمر بتلاوته... لا شك أن من أوائل حقوقه أن تكون لتلاوته آداب حتى نحيا به حياة طيبة.

أيتها القلوب المؤمنة:

إن لتلاوة القرآن آداب منها: ـ ما يتعلق بالقارىء، ومنها ما يتعلق بالمكان، ومنها ما يتعلق بالزمان، ومنها ما يتعلق بالقراءة نفسها، ومنها ما يتعلق بالمصحف نفسه، ومنها ما يتعلق بالمستمع، وليس بوسعنا هنا أن نذكرها كلها فلنذكر منها ما يتعلق بآداب القارىء للقرآن فمنها:

إخلاص النية:

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ وتلاوة القرآن عبادة يجب أن تكون خالصة لوجه الله تعالى لا رياء فيها ولا سمعة، ولا جاه ولا منصباً، وقد عد رسول الله ﷺ الذي يقرأ القرآن للرياء

والسمعة أحد أول ثلاثة من خلق الله تسعر بهم النار يـوم القيامـة فقال: «ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن. فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القـرآن، قال: كذبت ولكن تعلمت العلم ليقـال عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارىء، وقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار».

فالحذر كل الحذر من تعلم القرآن لإصابة عَرَضٍ من الدنيا.

يا أهل القرآن:

وكما اشترطت طهارة القلب فإن طهارة البدن أيضاً لازمة، فـلا بد لقارىء القرآن أن يكون على طهارة في بدنه من الحدث الأكبر باتفاق ومن الحدث الأصغر على خلاف بين العلماء رحمهم الله تعالى.

ومما يتعلق بالطهارة:

طهارة اللباس. فينبغي أن يكون طاهراً نظيفاً، ومما يتعلق بها طهارة الفم فعليه أن ينظف فاه بالسواك أو غيره فقد كان ﷺ إذا قـام من الليل يُشَوِّصُ فاه بالسواك. وكان يقول نظفوا أفواهكم فإنها مجاري القرآن، وعليه أن يبتعد إذا أراد القراءة عن كل ما يؤدي إلى الرائحة الكريهة... كالدخان والثوم والبصل.

ومما يتعلق بها أيضاً:

أن يتطيب إذا أراد القراءة، فقد كان عليه الصلاة والسـلام إذا قام بالليل يتهجد يغتلف بالغالية.

أيها الأحبة:

فإذا أتم طهارته هذه سُنَّ لـه أن يستقبل القبلة لقـوله عليـه الصلاة والسلام: «خير المجالس ما استقبل به القبلة» كمـا يستقبلها المسلم في صلاته وفي ذبيحته، وفي دعائه، وسائر قرباته.

ومن آداب التلاوة للقارىء: أن يقرأ بتفهم وتدبر قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ وقال سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ فلا يشغل قلبه ولا حواسه بسواه، ولا يسرح بفكره وخواطره إلا في معانيه، فإذا مر بآية رحمة سأل الله من فضله وإذا مر بآية وعيد وعذاب استعاذ بالله من عذابه. فقد روى مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال: «صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة فقرأها ثم النساء فقرأها ثم آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً؛ إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ».

فلنقتد بقدوتنا ﷺ، ولنحذوا حذوه في تلاوته، وهذا جانب فرط فيه كثير منا ـ غفر الله لنا ولهم ـ يقرأون القرآن وألسنتهم في واد وقلوبهم في واد آخر، لا يلبثون بين دقيقة وأخرى إلا ويقلبون الصفحات ينظرون كم بقي من السورة أو من الجزء، وكأنهم مكلفون باتمام السورة لا بتدبرها وفهمها، وهذا قلب للمفاهيم وقع فيه الأكثرون ـ إلا ما شاء الله ـ وقد سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن رجلين قرأ أحدهما البقرة وآل عمران، والآخر البقرة وحدها وزمنهما وركوعهما وسجودهما، وجلوسهما، واحد سواء؟ فقال الذي قرأ البقرة وحدها أفضل، وقال رضي الله عنه: «لأن أقرأ سورة أرتلها أحب إلي من أن أقرأ القرآن كله». فلنقرأ القرآن أيها الأحبة ـ ولننظر كيف نقرأ أولاً، ثم كم نقرأ ثانياً.

ومن آداب القارىء للقرآن الخشوع والبكاء فقد قال ﷺ: «اقرأوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا».

أيها الشاعرون بروعة القرآن:

هذه آداب قارىء القرآن اذكركم ونفسي بها. واعلموا أن الأجر على قدر المشقة فكلما استمسك الإنسان بالآداب زاد أجره وثوابه من الله.

جعلنا الله وإياكم ممن يستمعون القول ويتبعون أحسنه.

■ ■ ■

من وحـي الحج

الحمد لله رب العالمين، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ الأنبياءِ والمرسلينَ نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم وبعد.

حقيقةُ الحج قضية يغفلُ عن إدراكها بعضُ الناس فيحسبون أن الحجَّ ما هو إلا السفرُ إلى الأراضي المقدسةِ والتنقلُ بين المشاعرِ وأداءُ المناسكِ أداء تقليدياً لا روحَ فيه، بعيداً عن أخذِ العظةِ والعبرةِ... فيعودُ إلى بلده خاليَ الوَفَاضِ لا تكادُ تجدُ لحجهِ أثراً في سلوكِه وفي نظرتِه إلى الحياةِ.

والحجُّ أجلُّ وأعظمُ من هذا كلِّه، وكيف لا يكونُ كذلك وقد وعدَ رسولُ الله ﷺ من حَجَّ ولم يرفث ولم يفسقْ بخروجه من ذنوبه كيومِ ولدتُه أمُّه!! إذاً فلا بد أن يكونَ للحج خصائصُه ومزاياهُ التي تؤهِّلُ القائمَ به لنيلِ هذا الأجرِ الكبيرِ، بل لا بدَّ أن يكونَ لكل شعيرةٍ من شعائرِه خصائص كبرى ومزايا عظمى.

والوقوفُ في عرفة من أهمِّ شعائرِ الحجِّ بل هو الحجُّ فالحجُّ عرفة كما قال عليه الصلاة والسلام.

وقِف معي ـ أخي الحاج ـ لحظاتٍ نتأملُ فيها بعضَ المعاني في هذا اليوم، أعني يومَ عرفة ـ فله معانٍ ظاهرة يُدركُها الجميعُ ويفعلُها الكلُّ، وله معانٍ أُخرى باطنةٌ لا يُدركُها كثيرٌ من الناس.

في إحرامك ـ أخي الحاج ـ تجردٌ من اللباسِ المخيطِ، وفيه إشعارٌ بوجوبِ تجَرُّدِكَ من الذنوب.. وكأنما خلعتَ مع ثوبِك المخيطِ ثوبَ المعاصي والآثامِ.

فكما صدقت في ظاهرِكَ فخلعتَ الثوبَ المخيطِ ولَبِسْتَ لباسَ الإحرامِ الأبيضِ الطاهرِ النقي، فاصدق في باطنِك بخلع لباسِ الذنوبِ والبسْ ثوبَ الطاعاتِ وصَدِّقْ على نفسِك حديثَ الرسول ﷺ «من حج ولم يرفثْ ولم يفسقْ خرجَ من ذنوبه كيومِ ولدته أُمُّه».

وانظر ـ أخي الحاج ـ كرةً أخرى إلى إحرامِك وسَل نفْسَك، أيُّ لباسٍ يُشبه هذا اللباس!!! إنه يُشبه الكفنَ، وفي ذلك تذكيرٌ بالآخرةِ وبوجوبِ الاستعدادِ لها، ولئن كنتَ في لبسِك له حِنيذاك لا تستطيعُ التزوُّدَ للآخرةِ فإنك الآنَ في موسمِ أخذِ الزادِ ومضاعفةِ الحسناتِ، وموسمِ قبولِ التوبةِ من التائبين والمغفرةِ للمستغفرين.. فأدركْ نفسك قبلَ الفواتِ.

ثم أرخِ لبصرِكَ العنانَ وانظر إلى أمامِك وخلفِك وعن يمينك وشمالِك فإنك واجدٌ من البشرِ عدداً لم ترَ من قبلُ له مثيلاً.. وكلُّ هذا يوحي بالجمعِ الأكبرِ حيثُ يحتشدُ الناسُ كلُّهم للبعثِ والنشورِ حيثُ لا مالٌ ولا بنون إلا مَنْ أتى اللَّهَ بقلبٍ سليمٍ.

وهذا الجمعُ من المسلمينَ الذين اتفقوا على المجيء إلى هُنا إلى عرفاتٍ في مكانٍ واحدَ وفي زمانٍ واحدَ وينتقلون من عرفاتٍ إلى مزدلفة ومن مزدلفة إلى مِنى ومن مِنى إلى الجمراتِ ومنها إلى البيتِ الحرام. وهكذا ينتقلون من مشعرٍ إلى مشعر.. إن اتفاقهم هذا يوحي بأن طريقَهم واحدٌ وهدفَهم واحدٌ وأن عليهم أن يرعى بعضُهم بعضاً، وأن يكونوا كالجسدِ الواحدِ إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجسدِ بالحمى والسّهر.

وهذا الجمعُ من المسلمين فُرصة كبرى لكلِّ مسلمٍ لتفقُّدِ أحوال إخوانه

المسلمين في كلِّ مكانٍ حيثُ يلتقي في هذا المؤتمر الإسلامي الكبيرِ رجالُ العلم والأدب، ورجالُ السياسة والإصلاح الاجتماعي وغيرُهم فيتعاونون على رسم أفضلِ الخُططِ وأحسنِ الوسائلِ لبلوغِ المسلمين الهدف المنشود وحل مشاكلهم وقضاياهم.

ثم انظر أخي الحاجَ إلى هناك... حيثُ الصخراتُ التي وَقَف عندها رسولُ الله ﷺ يُعلنُ وصايا الوَداع.. ويُرهِفُ المسلمُ سمعَه حتى ليكادُ يسمعُ صوتَ رسول الله ﷺ يعلنُ حقوق الإنسان... أيُّها الناسُ إن دماءَكم وأموالَكم وأعراضَكم حرامٌ عليكم إلى أن تلقوا ربَّكم كحرمةِ يومِكم هذا في شهرِكم هذا في بلدِكم هذا.. ألا كلُّ شيء من أمر الجاهليةِ تحت قدميَّ موضوعٌ... ثم يحذرُ عليه الصلاة والسلام... لا ترجعوا بعدي كُفاراً يضرِبُ بعضُكم رقابَ بعضٍ وإنكم ستلقون ربَّكم فيسألُكم عن أعمالِكم.. وقد بلّغتُ.

ويتذكرُ المسلمُ هذه الوصيةَ الصادقةَ من الرسولِ ﷺ في هذا اليومِ وفي هذا الموضعِ فتأخذُه هزّةُ الإيمان إن كان صادقاً في إيمانِه ويقشعرُّ بدنُه ولكأنما رسول الله ﷺ ينظرُ إلينا من بعيدٍ يُحذّرُنا من واقعٍ صارتْ إليه طائفة منا يقتلُ بعضُها بعضاً والعدو متربصٌ بنا، فرحٌ مستبشرٌ بما يفعلُه أولئك.

ثم تفكر أخي الحاج:

لمَ سُمِّيت إقامتُك في عرفاتٍ وقوفاً فيقال: الوقوفُ في عرفاتِ مع أنك تقضي غالبِ هذا اليومِ جالساً!! لا شكَّ أن تسمية عملِك هذا بالوقوفِ إشعارٌ بالحثِّ على مواصلةِ العبادةِ وعدمِ الانقطاعِ كأنما المسلمُ واقفٌ عند بابِ ربِّه يدعوه ويدعوه ويُلِحُّ في الدعاءِ حتى يستجابَ له.

وفي هذا اليوم يومِ عرفاتٍ نزل قولُه تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِينًا ﴾.

أيُّ فضل لهذا اليومِ الذي أكمل اللَّهُ به الدينَ، والذي يَقفُ فيه المسلمُ عند بابِ ربِّه، والذي أرسى فيه رسولُ الله ﷺ مبادىءَ حقوقِ الإنسانِ واجتمع المسلمون فيه من كل فجٍّ عميقٍ ليشهدوا منافعَ لهم وتجرّد الحجاجُ فيه من المخيطِ واتجهوا فيه إلى ربّهم ملبّين ومستجيبين.

لا شكَّ أن لمثلِ هذا اليوم فضلاً كبيراً، ومنزلةً عظيمةً ولذلك فإنَّ أفضلَ أيامِ العامِ كلَّه بل أيامِ الدنيا كلِّها أيامُ عشر ذي الحجة، ومصداقُ ذلك حديثُ الرسولِ ﷺ «ما مِنْ أيامٍ أعظمُ عند اللَّهِ تعالى ولا أحبُّ إليه العملُ الصالحُ فيهن من أيام العشرِ فأكثروا فيهنّ من التسبيحِ والتحميدِ والتكبيرِ». وفي حديثٍ آخرَ «ما من أيام العملُ الصالحُ أحبُّ إلى الله فيهنّ من هذه الأيامِ يعني عشرَ ذي الحجة، قالوا ولا الجهادُ في سبيلِ الله، قال: ولا الجهادُ في سبيل الله إلا رجلاً خرج بنفسه ومالِه ثم لم يرجعْ من ذلك بشيءٍ».

وإذا كانت هذه الأيامُ العشرةُ أفضلَ الأيامِ فإن أفضلَها اليومُ التاسعُ منها أعني يوم عرَفة.. ومصداقُ ذلك حديثُ الرسولِ ﷺ «ما مِنْ يومٍ أفضلُ عند الله تعالى من يومِ عرفَة ينزِلُ اللَّهُ تبارك وتعالى إلى السماءِ الدنيا فيباهي بأهلِ الأرضِ أهلَ السماءِ فيقولُ: ـ «انظروا إلى عبادي شعثاً غبراً ضاحين جاءوا من كل فجٍّ عميقٍ، يرجون رحمتي ولم يروا عذابي، فلم يُرَ أكثرَ عتيقاً من النارِ من يوم عرفة..»»، وقال عليه الصلاة والسلام عن يومِ عرفة: ـ «إن الله عز وجل تفضل في هذا اليومِ فغَفَر لكم إلا التبعاتِ فيما بينكم» يعني حقوق بعضِكم على بعضٍ..

أيها الحاج الكريم:

أنت في أفضلِ الأيامِ.. وفي أفضلِ البقاعِ وفي عبادة من أفضل العباداتِ فهلا أخلصت في الدعاءِ.. وجددت العزمَ على التوبةِ واغتنمتَ

ساعاتِ هذا اليوم بل دقائقَهُ في التوجه إلى الله بقلبٍ خالصٍ صادقٍ، نادمٍ على ما فاتَ، حازمٍ على العملِ الصالحِ، والإقبالِ على الله . .

واعلم أن اللَّهَ يعلمُ ما في نفسِك فكنْ صادقاً مع الله . . . إذا عُدْتَ إلى بلدِك بذنبٍ مغفورٍ وسعيٍ مشكورٍ إن شاءَ الله فاحرصْ على نقاءِ صحيفتِك فإنك قد خرجتَ من ذنوبِك كيومِ ولدتْك أمُّك فلا تُدنِّسها بالمعاصي بعد أن طَهُرت . . ولا تَعُدْ إلى الضلالةِ بعد أن أخرجَك اللَّهُ منها .

أما أنتَ أيُّها المسلمُ في كل مكانٍ فاعلمْ رحمكَ الله تعالى . . أن فضلَ اللَّهِ أكبر ونعمتَه أعظمُ ورحمتَه أعمُّ . . فلم يجعلْ فضلَ هـذا اليوم خـاصاً بالحجـاج فلـك منه نصيبٌ كبيرٌ بإذنِ الله فقد شَرعَ لك صيامَه ووعَدَ بالأجـرِ العظيمِ والثوابِ الجزيلِ . . ومضاعفةِ الحسناتِ فيه لجميعِ المسلمين فأكثر من الأعمالِ الصالحةِ في هذا اليومِ فهو يومٌ لا كالأيام .

وفق اللَّهُ الجميعَ . . وتقبلَ من الحجيجِ حجَّهم ومن الصائمين صيامَهم ومن الصالحين أعمالَهم إنه سميعٌ مجيبٌ وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .





الغذاء في الاسلام

حين طلب مني أن أكتب مقالاً عن الغذاء في الدين الإسلامي تواردت على ذهني وتزاحمت صور عديدة من نظرة الدين الإسلامي إلى الغذاء وخلت بل جزمت يقيناً أن المقام لا يتسع لعرض بعض هذه الصور بله جميعها.

ذلكم أن الله سبحانه وتعالى خلق هذا الكون، وخلق الإنس والجن، وكلفهم بعبادته، وقد أراد الله سبحانه أن تستمر الحياة على الأرض.

وأهم عناصر بقاء الحياة على الأرض:

١ ـ الهواء.

٢ ـ الماء.

٣ ـ والغذاء.

أما الهواء فقد بثه الله سبحانه وتعالى في أرجاء الأرض لا يجد الإنسان في تحصيله مشقةً ولا نصباً، بل هو ملاصق لآلة التنفس عنده ولهذه السهولة في تحصيله لم يحتج الأمر إلى إيجاد لذة ظاهرة تدفع إلى تحصيله.

أما الماء والغذاء فلأن في تحصيلهما مشقة ـ عادة ـ وجهد ونَصَب، وكد وتعب، فقد جعل الله في تحصيلهما لذة.

وأما أجملها من لذة حين يشرب الإنسان كأساً من الماء البارد فتبتل عروقه ويذهب عطشه.

أما الغذاء فقد عدد الله سبحانه وتعالى ألوانه وأنواعه، وجعل لكل نوع لذته الخاصة، لأن الجسم بحاجة إلى نوع واحد من الماء ولكنه بحاجة إلى أنواع متعددة من الأطعمة، فجعل الله سبحانه لكل نوع ميلاً ولذةً حتى يتحقق الغذاء الكامل للجسد.

إذاً فاللذة في تناول الطعام ليست هدفاً بذاتها وإنما هي وسيلة للحفاظ على البقاء حتى تستمر الحياة ويستمر التكليف الشرعي الذي خلق الله من أجله الإنس والجن.

وقد ذم الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز الذين قَصَرُوا هدفَهم من الطعام على التلذذ وغاب عن أذهانهم الهدف الأسمى منه، بل جعل سبحانه هذا من صفات الكفار فقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ وقال سبحانه: ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَـٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴾.

وقد اعتنى الإسلام عناية كبيرة بالغذاء من جوانب شتى، فحث على إيجاده للناس بالزراعة، وَرَغَّب في ذلك ووعد بالثواب الكبير، والأجر العظيم، لمن غرس شجرة فقال ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة، إلا كان له به صدقة» رواه البخاري ومسلم.

ولم للغذاء من أثر كبير في بناء الأجسام وتهيئتها لإداء العبادة الواجبة فقد حث الإسلام على الطيبات من الطعام. والمراد بالطيب من الناحية الحسية ومن الناحية المعنوية.

أما من الناحية الحسية فقد حرم الإسلام الأغذية الضارة بالجسد كالسموم والمخدرات، والخمور، والدخان، وكل ما يؤدي إلى ضعف الجسد أو الضرر به.

ومن الناحية المعنوية أمر الإسلام بالكسب الحلال وحذر من الكسب الحرام حتى لا يأكل الإنسان إلا طيباً، بل جمع القرآن بين الأكل الطيب والعمل الصالح لما للأكل من أثر على صاحبه في عمله وفي سلوكه فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾ وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ وغير ذلك من الآيات.

وبين الرسول ﷺ عاقبة الغذاء الحرام بقوله: «أنه لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به» رواه الترمذي.

كما أن الأعمال الصالحة ترد إذا كان صاحبها يتغذى بالحرام، وقد ذكر رسول الله ﷺ: «الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنّى يستجاب لذلك. ؟!» رواه مسلم.

وأنواع الكسب الحرام عديدة لا تخفى. . كالربا، والسرقة، والرشوة، وأكل أموال الناس بالباطل، وأكل مال اليتيم، والأجرة على الحرام، وثمن المحرمات. . . وغير ذلك.

ولأن الحاجة من الطعام والشراب، والهدف والأسمى، هو تلبية حاجة الجسد الضرورية للغذاء لأداء العبادة والتَقَوّي على الطاعة. . . فقد نهى الإسلام عن الإسراف في الطعام، والإسراف الذي نهى عنه الإسلام في الطعام أنواع من أهمها:

١ ـ النهي عن الإسراف من جهة الكمية، وقد ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه».

٢ ـ ومن أنواع الإسراف: الإسرافُ في النوع وهذا ما يقع فيه الأكثرون فيعددون أصناف الأطعمة ولا يأكلون منها إلا القليل، ثم يرمونها في الزبالات... ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٣ ـ ومن أنواع الإسراف في تلبية طلبات النفس باعطائها ما تشتهي دائماً فيقع صاحبها في براثن شهواتها، وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «إن من الإسراف أن تأكل كل ما اشتهيت» وقد دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على ابنه عبد الله فوجد عنده لحماً فسأله عنه. فقال: اشتهيته، فقال عمر: أو كلما اشتهيت شيئاً أكلته، كفى بالمرء سرفاً أن يأكل كل ما اشتهى.

ومن صور اهتمام الإسلام بالغذاء أنه شرع آداباً للأكل، وآداباً للشرب لا تخفى، والحديث عنها طويل.

أخي القارىء:

احرص على نوع الغذاء، وعلى كونه من كسب حلال، واعلم أن الغذا كل ما كان جديداً كان أنفع ـ بإذن الله ـ وإليك قصة ذلك الشاب المريض الذي كانت حالته الصحية في تدهور مستمر ولم يجد الأطباء بُدّاً من إخراجه من المستشفى ليموت عند أهله وذات يوم شاهده رجل عجوز يأكل «فطيرة» جافة فأنكر عليه ذلك وقال:

أتظن الأطعمة الميتة تعيد إليك الصحة؟! لكي تغذي جسماً حياً يجب أن تعطيه أطعمة حية. وحين سأله الشاب عن هذه الأطعمة، قال له: تناول كل شيء طازجاً تناول كل شيء مملوءً بعناصر النمو... أنت محتاج إلى الخضروات، والليمون، والبرتقال... والفواكه المشبعة بأشعة الشمس... وبالعصارات الحية...

والتزم الشاب النصيحة... فكان له الشفاء بإذن الله تعالى...

أتدرون من هو ذلكم الشاب؟! إنه الدكتور جايلورد هاوزر... زعيم علم التغذية في العصر الحديث. وقد استفاد من تجربته.

وحين استشهد بهذه الحادثة فإني أشير إلى صفة من صفات الطيبات من الرزق التي أرشد إليها القرآن... ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾.

■ ■ ■



زكـــاة قلــم!

ما إن حملت القلم وأمسكت أصابعي بتلابيبه... وهممت أن أكتب به حتى سمعت صرير قلم...!

رفعت يدي القلم ونظرت عيني إليه نظرة دهشة!!

وتسآلت... أصرير قبل الكتابة؟!! قمت من فوري فأغلقت وسائل حديثة طغى صوتها على سمعي فلم أكد أسمع سواه... أرهفت سمعي من جديد فإذا ما حسبته صرير قلم... حديثاً هامساً...

أدنيت أذني إليه فإذا به يقول متسائلاً...: ماذا تريد مني أن أكتب! أنا... أنا الذي لا يؤخذ رأيه فيما يكتب... وينقاد لحركات اليد أيًا كان صاحبها عاقلاً أو مجنوناً... صغيراً أو كبيراً... مستقيماً أو منحرفاً... مؤمناً أو كافراً... أنَّات مـا فتئت أنا وآبـائي منذ قـديم الدهـر نصدرهـا تسمونها صريراً وما هي بصرير!! ولكنها أنَّات مكلوم... وزفرات مظلوم.

كنت انظر إلى قلمي وهو يتحدث... وعندما وصل إلى هـذا من حديثه... أحسست أنه ينظر إليَّ بعينين حـادتين كادت أن تفلتـه لأجلها أصابعي... فإذا به يقول: على رسلك... ما كنت لأبث إليك شكواي ولا أخبرك بحالي إلا وقـد اطمأنت إليـك نفسي... نحن معشر الأقـلام نسبح بحمد ربنـا وأنتم لا تفقهون تسبيحنـا... نحن معشر الأقـلام... يؤرقنا طويلاً أن يكتب بنا كلمة إلحاد... ويؤرقنا كثيراً أن يكتب بنا في

توافه الأمور في مجتمع مسلم تكاثرت مصائبه وتداعت عليه الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها.

نحن معشر الأقلام ــ يحملنا أحدكم فيكتب عن الحب والغرام! وعن صدود الحبيب ويحملنا آخر ويمجد دولة كفر أو زعيم إلحاد... ويحملنا ثالث ورابع وخامس ويكتبون في واد وقضايا أمتهم في واد آخر... حتى بتنا معشر الأقلام نخشى أن يصيبكم من الله عذاب.

معشر الكتّاب إنكم تظلموننا وتظلمون أنفسكم إن لم تؤدوا حقنا... وهل تدرون ما حقنا عليكم؟! حقنا أن تكتبوا بنا في سامي المعاني ونبيل الأهداف وسليم الأفكار، حقنا أن تجعلونا مشاعل تضيئون بنا لأمتكم دربها الطويل فتجعلوا ليلها البهيم نهاراً ساطعاً، ومحجة بيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك وحينئذ تكونون ورثة للأنبياء.

معشر الكتّاب كلكم يدرك أن السيف خلق للجهاد بالفعل... لكن أكثركم يجهل ــ بلسان حاله أو بلسان مقاله ــ أنّا معشر الأقلام خلقنا للجهاد بالقول ولكم في سلفكم الصالح أسوة حسنة.

ثم وَجَّه القلم حديثه إليَّ متسائلاً: هل ستنشر حديثي إليك؟قلت هذا بعض حقك، قال الحمد لله فقد اعترفت أنه بعض حقي لا كله، قلت ماذا تعني؟ قال: مكافأة المجلة إنها بقية حقي فالحديث حديثي... والكتابة كتابتي وليس لك من هذا ولا ذاك نصيب، قلت عجيب أمرك أيها القلم وماذا يفعل مثلك بالمكافأة؟ قال ألم أقل لك آنفاً أنكم تظلموننا حقنا! ألا تعلم أن علينا زكاة كما أن علينا جهاد؟ ليدفعوا المكافأة إلى المجاهدين الأفغان باسم... زكاة قلم.





جهاد حجر

حديقة المنزل مظهر حضاري يهتم بها من يعشق الخضرة، ويتسع وقته للعناية بها، فيزيل عنها الأعشاب الضارة، والحجارة الناشزة، نظرت لها ذات يوم وقد أعدت للزراعة فإذا بحجرٍ يعلن عن نفسه فما ترددت يدي أن امتدت إليه، وأطبقت عليه، وقبل أن أطوح به فكرت في شأنه، وتدبرت في حاله، كم احتجت إلى مثل هذا الحجر في مواضع، وأحتاج إليه غيري كثير من الناس، فما باله يبدو اليوم رخيصاً؟! بل يبدو عدواً يجب التخلص منه!! نعم؛ إن للمكان تأثيراً في قيمة الأشياء، كما أن للمقام تأثيراً في قيمة المقال... وما زلت أفكر في الأمر، وأنا أقلِّبُ نظري أرفعه وأخفضه، فلمحت الحجر وقد أزال عنه عرق يدي الغبار، أو هكذا ظننت، لولا أني رأيت قطرة تنزل من الحجر، جزمت ساعتها أن مانزل ليس بعرق يدي فرفعت الحجر وأدنيته إلى عيني أتفحصه وأُقلِّب فيه النظر باحثاً عن المكان الذي ندّت منه تلك القطرة، وما السرّ في ذلك؟ وعلامات الدهشة والاستغراب لا تزال ترسم نفسها على محياي، وكم كانت دهشتي أكبر حين سمعت الحجر يتحدث.. نعم يتحدث!!

سمعت من حديثه قوله: مَا لَكَ تنظر إليَّ هكذا؟ أستكثرت عليَّ أن تدمع عيني دمعة واحدة؟ ولو علمت ما بي ما استكثرت عليَّ أن أنزف الأنهار، أو أن أشقّق. لكنكم معشر البشر هكذا تنظرون إلينا معشر الحجارة، نظرة احتقار وازدراء، مع أنّا خير من كثير منكم، فكرت في حال أمتكم الإسلامية

فراعني أنّ المسلمين في بقاع كثيرة يلاقون الأذى بل القتل لا لشيء إلا لأنهم مسلمون. في فلسطين وفي البوسنة وفي أفغانستان وفي الهند وفي كشمير وفي الفلبين وبلاد أخرى كثيرة وأماكن متفرقة مذابح للمسلمين تقام هنا وهناك أهون بكثير من قتل يهودي واحد!! إنه لأمر يتفطر له القلب، لمن كان له قلب.

هل رأيت تلك الدمعة التي ندَّت من عيني؟ إنها دمعة دعاء الله أن أشارك إخواني في الجهاد. ثم سكت هنيهة يلتقط أنفاسه خطر ببالي أن أسأله: وهل على الحجارة من جهاد؟ وكيف يجاهد حجر مثلك؟ فعاد الحجر إلى الحديث، وأحسبه ينظر إليَّ بعينين حادتين قائلاً: ألم أقل لك أنكم معشر البشر تحتقرون الحجارة، نعم على الحجارة جهاد، بل التاريخ يحكي أن النصر كان لنا في كل معركة نخوضها.

أرسلنا الله ـ عز وجل ـ على قوم لوط فدمرناهم تدميراً، ورمى بنا أصحاب الفيل فأصبحوا كعصفٍ مأكول، بل نحن الوقود الذي تسجر به النار يوم القيامة، فنحن سلاح فتّاك حين نكون في أيدٍ مؤمنة.

وقال الحجر: بكت عيني حين سمعتُ عن جهاد الحجارة في فلسطين ضد اليهود، اليهود الذين حاولوا إلقاء حجر كبير على الرسول ﷺ لاغتياله لولا أن الوحي أخبره بما دبروه فأنقذه الله منهم، وها نحن الحجارة نعود عليهم لننتقم منهم، ومع أنهم يلبسون الدروع الواقية، وسيارات مصفحة فقد بلغت خسارتهم مبلغاً عظيماً وأزعجهم الحجر الذي يقذفه الطفل الفلسطيني أكثر من إيذاء جميع الطائرات والدبابات عام ٦٧.

ثم سألني الحجر هل عقد أحكم مقارنة بين الحجر الفلسطيني وأحجار القمر؟ هل تعرف كم كلف إحضار حجر من القمر؟ وكم كلف الحجر الفلسطيني العدو؟ إن أمريكا بذلت المال الكثير حتى أحضرت أحجاراً من

القمر وسيطرت عليها، أما العدو فبذل مثل ذلك ولم يستطع ولن يستطيع أن يسيطر على الحجر الفلسطيني.

إنّ كل حجر في جميع بقاع الأرض يحترم الحجر الفلسطيني، ويتمنّى أن يشاركه الجهاد، أتستكثر عليّ بعد هذا دمعة ندت من عيني حين أخرجتني من حديقتك، هممت أن تلقيني في صندوق القمامة!! إن دمعتي تلك كدمعة أولئك الذين انصرفوا من عند الرسول ﷺ ﴿ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴾.

وهنا رأيت التأثر بادياً على وجه الحجر، فأردت أن أخفف عنه وأُسَرِّي مما به فقلت: وما يدريك أنك لا تجد ما تنفق! فنظر إليّ باستغراب ومن أين ينفق حجر مثلي؟ وماذا ينفق؟ قلت: هل تأذن لي بأن أبعث بحديثك هذا إلى مجلة تنشره وتدفع لك المكافأة؟ ولم يتركني أكمل الحديث بل سبقني وقال: وتطلب من المجلة أن تدفع المكافأة إلى المجاهدين بالحجارة باسم جهاد حجر فأكون قد شاركت إخواني في فلسطين. قلت: نعم. قال: افعل، ثم اقذف بي حيث تشاء فقد اطمأن قلبي.

■■■



النفس في القرآن الكريم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلّا الله وأن محمداً عبده ورسوله. . . .

أما بعد. فقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم وركبه من:

ـ جسد.

ـ وروح.

أما الجسد فمعروف، وأما الروح فللعلماء في المراد بها خلاف أصحها ما ذكره ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه الروح حيث قال:

«جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيها سريان الماء في الورد وسريان الدهن في الزيتون والنار في الفحم، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي ذلك الجسم اللطيف مشابكاً لهذه الأعضاء وأفادها هذه الآثار من (الحس) و(الحركة الإرادية) وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن، وانفصل إلى عالم الأرواح. وهذا القول هو الصواب في المسألة وهو الذي لا يصح غيره، وكل الأقوال سواه باطلة، وعليه دل الكتاب

والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة»[1] ثم ذكر ـ رحمه الله تعالى ـ مائة وستة عشر دليلاً على ذلك.

وقال الفيروزآبادي أن الروح اسم «للجزء الذي به تحصل الحياة والتحرك واستجلاب المنافع واستدفاع المضار»[2].

ولعله يشكل على بعض الناس التفريق بين النفس والجسم والروح وقد فصل ابن القيم رحمه الله تعالى القول في ذلك فقال:

«والنفس في القرآن تطلق على الذات بجملتها (يعني الجسم والروح) كقوله تعالى: ﴿ فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾[5].

وتطلق على الروح وحدها كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴾[6].

وقوله تعالى: ﴿ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾[8]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾[9] وأما الروح فلا تطلق على البدن لا بانفراده ولا مع النفس»[10].

---

(1) الروح: ابن القيم ص ١٧٨ ـ ١٧٩.
(2) بصائر ذوي التمييز: الفيروز آبادي ج ٣ ص ١٠٣.
(3) سورة النور، الآية: ٦١.
(4) سورة النحل، الآية: ١١١.
(5) سورة المدثر، الآية: ٣٨.
(6) سورة الفجر، الآية: ٢٧.
(7) سورة الأنعام، الآية: ٩٣.
(8) سورة النازعات، الآية: ٤٠.
(9) سورة يوسف، الآية: ٥٣.
(10) الروح: ابن القيم ص ٢١٧.

وسنتناول في حديثنا هذا الاطلاق الثاني أعني إطلاق النفس على الروح إذ هي التي تفيض على الجسم تلكم الآثار عن الحس، والحركة، والادراك، والحياة، واستجلاب المنافع، ودفع المضار، وبدونها يفقد الجسم كل هذه الآثار بل يفقد نفسه بالتحلل.

وحين نتأمل في غذاء كل من هذين العنصرين (الروح والجسد) نجد أن الجسد خلق من تراب وأن غذاءه من التراب (نبات أو حيوان يتغذى بالنبات). وأنه إذا ما مات يتحلل ويعود إلى التراب؟! ولذلك يتمنى الكافر يوم القيامة لو أنه بقي على أصله الترابي الأول فيقول: ﴿ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ﴾(١).

أما الروح فمن الله: ﴿ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾(٢).

وإن كانت النسبة اضافة تشريف فلا بد أن يكون غذاؤها من الله وليس من التراب ولا ممن خُلِقَ من التراب فإن التَزَمَتْ بالغذاء الرباني صعدت بعد الموت إلى عليين وفتحت لها أبواب السماء ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ ﴾(٣)، وإن حادت وأبت إلا الغذاء الترابي أغلقت في وجهها أبواب السماء قال تعالى: ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِ ﴾(٤)، قال كعب: «أرواح المؤمنين في عليين في السماء السابعة، وأرواح الكفار في سجين في الأرض السابعة تحت جند إبليس»(٥).

---

(١) سورة النبأ، الآية: ٤٠.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٢٩.

(٣) سورة الفجر، الآية: ٢٧ ــ ٢٨.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٤٠.

(٥) شرح العقيدة الطحاوية: علي بن أبي العز ج ٢ ص ٥٨٣.
والروح: ابن القيم: ص ٩١.

وغذاء الجسد فيه النافع والضار فإذا غذى الإنسان جسدَه بالغذاء الجيد صح وقوي بناؤه وظلَّ حياً طريّاً متماسكاً، وإذا غذاه بالغذاء الرديء أو أهمل غذاءه ضعف وانحرف مزاجه، وساءت صحته، وخارت قواه، وهزل وذبل.

وكذا غذاء الروح فيه النافع والضار أيضاً وإذا غذى الإنسان روحه بالغذاء السليم سمت وارتفعت وصحت وسلمت من الأمراض. وغذاؤها صحة الاعتقاد، وسلامتها باتصالها بالله تعالى، قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[1].

وإذا أهمل الإنسان غذاء روحه أو غذاها بالغذاء البشري بأن جعل صلتها بالمبادىء الوضعية والمعتقدات الزائفة أو انقادت لملذات الجسد الترابي فتغذت بغذاءه واستغنت به عن غذاءها الرباني ضعفت وخارت وتاهت وانحرف مزاجها ولم يقر لها قرار وضاقت عليها الأرض على سعتها. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[2]، ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾[3]. وقد تَطْلُب الخروج من هذا الجسد الذي ضاقت به وضاق بها فتؤدي بصاحبها إلى الانتحار...

إذن فإن على الإنسان أن يحرص على اختيار غذاء الروح كما يحرص على اختيار غذاء الجسد، وأن يسأل أطباء القلوب عن الغذاء النافع كما يحرص على سؤال أطباء الأبدان عن غذاء الجسد الفاني، وعليه أن يعرض روحه على أهل الذكر كما يعرض جسده على أهل الطب، وأن

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

(٢) سورة طه، الآية: ١٢٤.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٣٦.

يعالج روحه كما يعالج بدنه، وأن يتفقدها كما يتفقد بدنه، وأن يحاسبها دورياً كما يجري الفحوص الدورية لجسده.

وإذا كان غذاء هذه الأجساد الترابية السفلية الفانية من أصلها الترابي يستمد، فإن غذاء هذه الأرواح السامية الباقية من الله يستمد، ومن معين كتابه العزيز.

وليس في وسعنا في هذه العجالة... أن نستوعب غذاء هذه الأرواح وعلاجها فلنكتف بالإشارة السريعة.

أما الأرواح فلا تخلو من ثلاث حالات:

الأولى ـ الروح السليمة:

وهي التي سلمت من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه، والتزمت الغذاء الرباني، وسلمت العبودية لله، رغبة، ورهبة، ومحبة، وتوكلاً، ورجاء، وإخلاصاً.

الثانية ـ الروح الميتة:

وهي الروح التي لا تعرف ربها، بل انحرفت، وحادت، واتبعت الشهوات، وتغذت بالحرام، وانقادت لشهواتها، وأعرضت عن ذكر ربها.

الثالثة ـ الروح المريضة:

وهي الروح التي خلطت عملاً صالحاً، وآخر سيئاً، فحيناً تحيا بذكر الله وتخبت له، وحيناً يشوبها اتباع الشهوات، والحرص على تحصيلها، فهي بين الحياة والموت... أملٌ في حياتها إن صحت منها العزيمة، وتداركها صاحبها، والتمس علاجها، وجد في تحصيله، وخشيةٌ من موتها إن أهملها صاحبها، وسها عن دائها، وأيس من شفائها.

فإن قلت: كيف يعرف الإنسان روحه من أي هذه الأرواح الثلاث

هي؟ قلنا يعرضها على صفات الأرواح الثلاث فيعرف من أي الأرواح روحه.

صفات الروح الأولى:

من علامات هذه الروح أن تظل معلقة بالآخرة، متذكرة لها كل حين. وأن تكون علاقتها في الدنيا علاقة مؤقتة محدودة كما قال ﷺ لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» رواه البخاري. والرجل الذي علق قلبه بالمساجد من السبعة الذين يظلهم الله تحت عرشه يوم لا ظل إلا ظله.

ولا نعني بهذا أن ينقطع الإنسان عن الدنيا، أو أن يهملها، وإنما نعني أن لا تكون كل همه ومقصده.

ومن علاماتها أن تنفر من الغذاء الضار وتأباه، وتأنس إلى الغذاء النافع وتقبل عليه، فتكون القائد لصاحبها إلى الاختيار فلا تزال تضرب على قلب صاحبها حتى يقبل على الطاعة فتسكن، ولا تزال تضرب على قلبه إن هَمَّ أن يسلك طريق الزلل فتربط على قلبه حتى يرى بها ربه... فيعود.

ومن علاماتها أن يشح صاحبها بوقته أن ينفقه فيما لا خير فيه، أو لا فائدة يجنيها منه.

ومن علاماتها أن تجد في الصلاة راحتها، وفي القرآن أنسها.

ومن علاماتها أن لا تفتر عن ذكر الله وأن تجد لذلك حلاوة دونها كل حلاوة.

أما صفات الروح الثانية:

فإنها قد تمرض ولا يدرك صاحبها مرضها، بل قد تموت وصاحبها

غافل لاه عنها لا يعرف بمرضها فيتداركها، وعلامة ذلك أن صاحبها لا تؤلمه حراب المعاصي «وما لجرح بميت إيلام».

ومن علاماتها أن صاحبها لا يتأثر بموعظة ولا تنفعه الذكرى ولا يأنس لذكر الله. . . والعياذ بالله.

ومن علاماتها أيضاً ميلها عن الأغذية النافعة إلى الأغذية الضارة، وعن ما فيه صلاحها، إلى ما فيه شهواتها، وعن الدواء إلى الداء.

أما صفات الروح الثالثة:

فإنها تجتمع فيها أسباب الحياة والمرض فتمده هذه مرة وهذه أخرى وهو مع من غلب منهما فتارة يغلب الإيمان في قلبه، وتارة تغلب الشهوات. . . ويظل حائراً متردداً بين الحالتين إلى أن يتدارك نفسه فيعتقها. . أو أن يغفل عنها فيوبقها وفي الحديث «كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها» رواه مسلم.

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٣٩ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾[1].

فالروح الأولى هي النفس المطمئنة.

والروح الثانية هي النفس الأمارة بالسوء.

والروح الثالثة هي النفس اللوامة.

فالأولى مطمئنة لأنها سكنت إلى الله عز وجل، واطمأنت بذكره، وأنابت إليه، واشتاقت إلى لقائه، وآنست بقربه فهي مطمئنة قال ابن عباس رضي الله عنهما «المطمئنة المصدقة»[2].

---

(١) سورة النازعات، الآية: ٣٧ ـ ٤١.

(٢) تزكية النفوس وتربيتها كما يقرره علماء السلف: جمع د. أحمد فريد ص ٧٠.

وأما الثانية فإنها تأمر بالسوء، وتأنس إليه، فلا يكاد أحد ينجو من شرها، وهي الأصل في النفوس، فهي أمَّارة بالسوء، إلا ما رحم ربي، قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة يوسف، الآية: ٥٣].

فكل النفوس في أصلها كذلك إلا من وفقه الله تعالى، وزكى نفسه، فإنها ترتقي إلى درجة النفس اللوامة، أو أعلى من ذلك إلى النفس المطمئنة، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [سورة الشمس، الآيتان: ٩ ـ ١٠] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [سورة النور، الآية: ٢١].

وأما الثالثة فهي اللوامة، التي لا تثبت على حال واحدة، فهي تتقلب بين الطاعات والمعاصي، فتذكر، وتغفل، وتقبل، وتعرض.

ولا شك أن في القرآن الكريم طاقة روحية ذات تأثير بالغ الشأن في نفس الإنسان فهو يهز وجدانه ويرهف أحاسيسه ومشاعره، ويصقل روحه ويوقظ إدراكه وتفكيره، ويجلي بصيرته، فإذا بالإنسان بعد أن يتعرض لنفحات القرآن يصبح إنساناً جديداً. كأنه خلق خلقاً جديداً.

إن كل من يقرأ التاريخ الإسلامي يلحظ ذلك التحول في تلكم المجتمعات ويرى الانقلاب في شخصيات الأفراد الذين تعلموا في مدرسة محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام[1].

ولا شك أن في القرآن الكريم الشفاء لجميع ما يعتري الأرواح من الأعراض والأمراض، بل إن الروح المطمئنة لا تستغني عن القرآن ساعة واحدة.

---

(١) انظر القرآن وعلم النفس: د. محمد عثمان نجاتي ص ٢٤٥.

طب الأرواح في القرآن الكريم:

فإن سألت ـ بعد ـ عن علاج الأرواح في القرآن الكريم قلنا إن أول علاج يصفه القرآن لأمراض الأرواح هو: **الإيمان**.

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٨٢] وقال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [سورة الرعد، الآية: ٢٨] ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ [سورة التغابن، الآية: ١١].

ولا عجب أن يكون الإيمان هو ركن العلاج ذلكم أن للإيمان التأثير العظيم في النفوس البشرية فهو يزيد من ثقة الإنسان بنفسه، ويزيد من قدرته على الصبر، وتحمل المشاق، ويغرس فيه الشعور بالأمن والطمأنينة، وهذا المعنى يفسر لنا كيف كان الجيل الأول من هذه الأمة الذي تربى بالقرآن وخالطت قلبه بشاشة الإيمان. كيف كان هذا الجيل القرآني يثق بنفسه أمام جيوش فارس والروم، وكيف صبر على قتالهم وهم الذين يملكون من السلاح والعتاد ما لا يعرفه، وكيف كان يشعر بالأمن والطمأنينة مع القلة من المسلمين، أمام الكثرة الكاثرة من الكفار والمشركين.

ولم يكن ليتحقق لهم ذلك لولا أن الإيمان قد تمكن من شغاف قلوبهم فبث فيها الأمن والسكينة، والصبر والطمأنينة، فالإيمان يصله بربه القوي الذي دون قوته كل القوى، والمؤمن دائم التوجه إلى الله تعالى في كل عمل من أعماله فهو على صلة بربه في كل حين والله في عونه ما دام على هذا الشعور.

إن المؤمن إيماناً صادقاً لا يخاف من شيء في هذه الحياة إلا الله فهو يعلم أنه لا يمكن أن يصيبه شر أو أذى إلا بمشيئة الله تعالى، ولا يمكن لأي إنسان أو لأية قوة أخرى في الكون أن تلحق به ضرراً، أو تمنع عنه

خيراً إلا بمشيئة الله تعالى، ولذلك فالمؤمن الصادق إنسان لا يمكن أن يتملكه الخوف أو القلق[1] أو يشل حركته أو يؤثر عليه.

وقد اتفقت جميع مدارس العلاج النفسي على أن القلق هو السبب الرئيسي في نشوء أعراض الأمراض النفسية[2].

والمؤمن الصادق الإيمان يعلم يقيناً أن الأرزاق بيد الله، وأن الله قد قسمها، وأن رزقه سيأتيه. فهو راض بقضاء الله وقدره، إن كان قدَّر فقره، أو قدّر غناه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [سورة الذاريات، الآية: ٥٨]. ، ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الذاريات، الآية: ٢٢]، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [سورة هود، الآية: ٦] ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [سورة الرعد، الآية: ٢٦].

والمؤمن لا يخشى الموت ولا يهابه فهو يعلم أنه حق لا مفر منه ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ [سورة الجمعة، الآية: ٨] ويعلم أنه لن يموت قبل أجله. ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ [سورة المنافقون، الآية: ١١]، ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٣٤].

المؤمن يعلم أنه في هذه الحياة عابر سبيل، وأن الآخرة هي الحياة الدائمة لذلك فهو لا يحزن على ما فاته من زخرفها، ولا يبيع دينه بعرض منها ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [سورة الأعلى، الآيتان: ١٦ ـ ١٧].

والمؤمن لا يخشى الحوادث، والمصائب، وغوائل الزمان، وعوادي الأيام، ولا يخاف المرض إن حل به، ولا يجزع، فهو مؤمن أن كل ذلك

---

(١) القرآن وعلم النفس: د. محمد عثمان نجاتي ص ٢٥٠ ـ ٢٥١.
(٢) أثر القرآن الكريم في الأمن النفسي: د. ناهد الخراشي ص ١٢٩.

بقضاء الله وقدره ويعلم يقيناً أن ما حل به أو سيحل به من سرّاء أو ضرّاء ما هو إلا ابتلاء وامتحان، وأن عليه أن يصبر على الضراء، وأن يشكر على السّراء ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٣٥].

والمؤمن لا يستسلم للحزن والهم، ولا يرهن نفسه لليأس والقنوط، ولا يصيبه الكبر والبطر مع النعمة لأنه يعلم أن ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [سورة الحديد، الآيتان: ٢٢ ـ ٢٣].

والمؤمن لا يظهر خلاف ما يبطن فلا يعاني في نفسه من هذا التكلف لأنه يعلم أن الله تعالى يعلم ما في نفسه ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ ﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٢٥].

وبهذا كله ندرك أن الإيمان يطهر النفس البشرية من نقائصها فتسلم من الآفات والأمراض النفسية[١].

ولكن هذا التغيير وهذا التطهر ليس بالأمر الهين اليسير إنه عبء ثقيل ذلكم أن الله تعالى قد ألهم كل نفس الخير والشر، وأمد كل إنسان بالقدرة على تطهير نفسه من الشر والإبقاء على الخير فمن فعل فقد زكاها، ومن لم يفعل فقد دسّاها ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [سورة الشمس، الآيات: ٧ ـ ١٠].

وسيلاقي الإنسان العناء الشديد بصد نفسه عن الفجور وحملها على الطاعات وسيظل كذلك في كل لحظة من حياته فجهادها أكبر من جهاد العدو الذي يستمر لمدة معينة ولهذا وصف رسول الله ﷺ جهادها بالجهاد الأكبر.

---

(١) انظر القرآن وعلم النفس: د. محمد عثمان نجاتي من ص ٢٤٤ وما بعدها.

ومن المعلوم أن الإيمـان ينفي الريـاء، والكبر، والغـرور، والحقـد والحسد، والغضب، والوسواس، والطمع، والعجب، واليأس، وتلكم أهم الآفات النفسية والأمراض العصبية.

أما العلاج الثاني في القرآن الكريم للأمراض النفسية والروحية فهو: **العبادة**.

وما أدراك ما العبادة؟ شأنها عظيم، ومكانتها كبيرة، إذ لا يكفي لشفاء المريض أن يعرف مرضه ولا يكفي أيضاً أن يعرف علاجه ثم يقف عند هذا الحد! بل لا بد من تناول العلاج، وكذلك علاج النفس لا يكفي أن يعتقد الإنسان العقيدة الصحيحة بل لا بد من مزاولة هذه العقيدة والالتزام بها وما تتطلبه من أعمال وتطبيقات إذ بالممارسة العملية للعقيدة الصحيحة تحدث التزكية للنفس.

وقد دعا القـرآن إلى العمل وفق العقيـدة الصحيحة ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ ﴾ [سورة التوبة، الآية: ١٠٥].

والعمل الذي دعا إليه القرآن ورد بيانه في مواضع عديدة من القرآن الكريم والسنة النبوية ومن أهم تلكم الأعمـال: الصلاة والـزكاة والصيـام والحج، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والورع، والزهد، والتقوى، والذكر وتلاوة القرآن، والصبر، والتوبة، والصدق، والأمانة، وغير ذلك.

وآداء هذه العبادات يربي المسلم على التخلص والتجرد من هـواه ورغباته، والانقياد لشهواته، ويربيـه على الاستسلام لـه بالـطاعة وحـده، والامتثال لأوامره واجتناب نواهيه، وأن يظل في كل لحظة متصـلاً بربـه، قريباً منه.

كما يعلمه الصبر على مخالفـة النفس، وتحمل المشـاق الجسدية والنفسية في سبيل ذلك، كما تغرس في نفسه حب الناس، وأن يحب لهم مـا يحب لنفسه فيحسن إليهم، ويتصـدق على فقيرهم ويـزور مريضهم،

ويعطف على صغيرهم، ويوقر كبيرهم، كما تنمي هذه العبادات في نفسه روح التعاون والتكافل، وهذه الخصال هي مقومات الصحة النفسية، كما أنها الوقاية من الأمراض النفسية أيضاً.

فالصلاة صلة بين العبد وربه، لا تنقطع فإن العبد إذا صلى الظهر لم يزل ينتظر صلاة العصر ويترقبها وإذا صلى العصر لم يزل ينتظر صلاة المغرب ويترقب دخول وقتها وهكذا ولا يزال العبد في صلاة ما انتظر الصلاة وبذا تكون صلته بربه دائمة لا تنقطع وحينما يشعر المسلم بهذه الصلة يدرك أنه تحت الرقابة الإلٰهية فيخضع كل أعماله لما يرضي ربه.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [سورة العنكبوت، الآية: ٤٥]. وتأمل فاصلة هذه الآية و﴿ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ كأن في هذا إشارة إلى أن المصلي يدرك أنه مراقب من ربّه وأنّ الله يعلم سائر ما يعمل فيراقب نفسه بنفسه فتنهاه صلاته عن الفحشاء والمنكر.

إضافة إلى ما تضفيه الصلاة من تهذيب للأخلاق وتقويم للسلوك بل تورث انقياد إرادة العبد لإرادة الله وخشيته ومحبته سبحانه والانسلاخ من الطبيعة البهيمية التي تقوده إلى الشهوات والهوى. ولذلك حين أمر الله تعالى نساء النبي ﷺ ورضي الله عنهم بالقرار في البيوت ونهاهن عن التبرج أمرهن بالصلاة والزكاة وطاعة الله ورسوله ثم بيّن عاقبة ذلك فقال سبحانه: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٣٣][1].

والخشوع هو روح الصلاة ولبّها وقد صوَّرَ لنا أحد العلماء تصويراً

(١) من كتابي «الصلاة في القرآن الكريم» ص ٣٨ ـ ٣٩.

مؤثراً للصلاة التامة فقد سئل حاتم الأصم عن صلاته فقال: «إذا حانت الصلاة، أسبغت الوضوء، وأتيت الموضع الذي أريد الصلاة فيه، فأقعد حتى تجتمع جوارحي، ثم أقوم إلى صلاتي، وأجعل الكعبة بين حاجبي، والصراط تحت قدمي، والجنة عن يميني، والنار عن شمالي، وملك الموت ورائي، وأظنها آخر صلاتي، ثم أقوم بين الرجاء والخوف، وأكبر تكبيراً بتحقيق، وأقرأ قراءة بترتيل، وأركع ركوعاً بتواضع، وأسجد سجوداً بتخشّع وأقعد على الورك الأيسر، وأفرش ظهر قدمها، وأنصب القدم اليمنى على الابهام، وأتبعها الاخلاص، ثم لا أدري أقبلت مني أم لا»[1].

إنَّ لهذه الحالة من الخشوع والاسترخاء النفسي الذي تحدثه الصلاة الأثر الكبير في علاج النفس وتخفيف حدة التوترات العصبية الناشئة عن ضغوط الحياة اليومية وفي خفض القلق الذي يعاني منه بعض الناس ولذلك يقول الطبيب توماس هايسلوب «إن الصلاة أهم أداة عرفت حتى الآن لبث الطمأنينة في النفوس، وبث الهدوء في الأعصاب»[2].

ولما للصلاة من تأثير نفسي كان عليه الصلاة والسلام يقول لبلال رضي الله عنه «أرحنا بالصلاة يا بلال»[3] وكان عليه الصلاة والسلام إذا حزبه أَمْرٌ أَمَرَ بالصلاة.

وإذا علمنا أن الصلوات المفروضة خمس في اليوم والليلة، فضلاً عن النوافل، وعن صلاة الجمعة، والاستسقاء، والخسوف، والكسوف، والجنائز، والعيدين، والتراويح، وغيرها، وما يسبقها من استعداد لها بالآذان

---

(١) إحياء علوم الدين: الغزالي ج ١ ص ١٥١.

(٢) القرآن وعلم النفس: د. محمد عثمان نجاتي ص ٢٦٤ ــ ٢٦٥ وانظر أثر القرآن الكريم في الأمن النفسي: ناهد عبد العال الخراشي ص ١٧٢.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٥ ص ٣٦٤ وأبو داود في سننه ج ٤ ص ٢٩٦ ــ ٢٩٧.

والطهارة، وما يعقبها من استراحة للتسبيح والتكبير، وذكر لله، عرفنا ما تستغرقه هذه الصلاة في حياة المسلم ومدى تأثيرها في سلوكه.

والصلاة مثل من أمثلة تأثير العبادة في علاج النفس البشرية وتهذيبها، وقل مثل ذلك في العبادات الأخرى، كالزكاة، والصيام، والحج، وغيرها ويطول الحديث لو ذهبنا في استقصاء واحدٍ منها فضلاً عن جميعها، ولعل فيما قلناه إشارة فيها فائدة والله المستعان.

■ ■ ■



محاسبة النفس

الحمد لله الذي فضل أمة محمد ﷺ بالقرآن. وآتاها به ما لم يؤت أحداً من العالمين، وجعله هداية دائمة، وشريعة خاتمة، وحجة قائمة، والصلاة والسلام على من كان خلقه القرآن وبعد.

يقف كثير منا صباح كل يوم أمام المرآة الصقيلة، يصف شعره ويصلح هندامه ويواسي رداءه ويلمع حذاءه، وإذا كانت هذه المرآة لا تبدي إلا القشرية البادية فإنه حري بنا أن نقف وقفة أخرى أمام مرآة أصفى وأنقى تصحيحاً لمسار حياتنا وتقويماً لما اعوج منها، لأنها إنما تظهر الجوهر الدفين: ألا إنها مرآة القرآن.

ذلكم أن المسلم ليس بنهرٍ جمالُه في رقة مائه، وعليل هوائه، وإنما هو بحر بكنوزه، وجواهره، ولآلئه، ومرجانه، فاستخرجوا كنزكم المدفون في بواطنكم أيها المسلمون.

قفوا أمام مرآة القرآن صباح ومساء كل يوم، وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا.

أصحاب العزمات المرجوة:

اعلموا أن النفوس مجبولة على شيم مهملة، وأخلاق مرسلة، لا يستغني محمودها عن التأديب، ولا المرضي منها عن التهذيب، فللمحمود وللمرضي في نفسك أضداد مؤثرة، هوى مطاع، وشهوة غالبة، فإن أغفلت

التأديب والتهذيب وأسندت ذلك إلى العقل الفطري، أو إلى الطبع الجبلي، قصر بك عن درجة المجتهدين، بل حط بك في هاوية المقصرين.

أيها المهتدي بهدي القرآن:

قف بنفسك عند قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾.

ثم انظر مع أي الفريقين أنت. أأنت ممن آثر الحياة الدنيا؟!

إذاً فَشَخِّص بنفسك داءك، وابحث عن مواطن العلة فيك واذهب إلى أطباء النفوس وسلهم عن دوائك، والتمسه عندهم، فإن لم تجده عند أحدهم فابحث عنه عند الآخر، وكن حريصاً عليه أكثر من حرصك على علاج القشرة البادية، فإذا ما وجدته فعض عليه بنواجذك، وإياك إياك أن يكون نصيبك منه مجرد المعرفة والعلم، فإن مرض البدن يُخْلَصُ منه بالموت ومرض النفس والقلب يدوم أبد الآبدين إلا ما شاء الله.

وإن كنت من الطائفة الثانية ممن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى، أو ترجو ذلك، فابحث عن أخلاقك المحمودة، فهذبها، واستمسك بها، وأبعد عنها كل ما يؤدي بها إلى الغفلة أو يؤدي بها إلى الهلاك.

أصحاب الآدمية المكرمة:

أنتم بين داعيين: داعٍ نفسي يدعو إلى الطغيان وإيثار الحياة الدنيا وما حُفَّ بالشهوات والملذات... وداعٍ رباني يدعو إلى مخافة الله وينهى عن اتباع الهوى وأنت يابن آدم بين الداعيين تميل إلى هذا مرة، وإلى ذاك أخرى، ومقامك هذا مقام الابتلاء والامتحان. وعليه تثاب أو تعاقب فاحرص على سلوك السبيل السوي الذي به النجاة.

واعلم أن الدواء كل الدواء في محاسبة النفس ومخالفتها، فقد روى الإمام أحمد رحمه الله تعالى: «الكيِّسُ من دان نفسه وعمل لما بعد

الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله» وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا فإنه أهون عليكم في الحساب غدا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ وقال الحسن رحمه الله: ما لدابة الجموح بأحوج إلى اللجام الشديد من نفسك، وقال سفيان الثوري رحمه الله: ما عالجت شيئاً أشد عَلَيَّ من نفسي، مرة لي ومرة عَلَيَّ، وقال مالك بن دينار رحمه الله: رحم الله عبداً قال لنفسه ألستِ صاحبة كذا، ألستِ صاحبة كذا، ثم ذمَّها، ثم خطمها، ثم ألزمها كتاب الله عز وجل، فكان لها قائداً.

فإذا عزمت على تهذيب نفسك وتقويمها فاعلم أن أرباب القلوب جرَّبوا قلوبهم في حال الفرح والسرور، فوجدوها قاسية نَفِرَة بعيدة عن التأثر بذكر الله، واليوم الآخر، وجربوها في حال الحزن فوجدوها لينة، رقيقة، صافية، قابلة للتأثر، فعلموا أن النجاة في التباعد عن أسباب البَطَر وكثرةِ الضحك.

وإذا كان الأمر كذلك فافطم نفسك عن المعاصي والذنوب، وروضها على الطاعات والانس بذكر الله، واعلم أنك ستكابد في فطامها ـ باديء الأمر ـ ما يكابده الطفل عند الفطام عن الثدي، وستكابد في ترويضها ما يكابده مروض الفرس للسرج واللجامِ، والركوب، ثم تستسلم لك بعد ذلك وتنقاد، بل تصبح أسيرة لقلبك ينهاها عن هواها فتنتهي، ويخوفها مقام ربها فتستجيب.

أيها المهتدون بهدي القرآن:

ضعوا مرآة القرآن بين أعينكم صباح ومساء كل يوم وأعرضوا أنفسكم على قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ

حَـٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾.

ثم اعرضوها على قوله تعالى: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْأَٰمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

ثم اعرضوها على قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

ثم اعرضوها على قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

ثم اعرضوها على قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا﴾ الخ. [سورة الفرقان، الآية: ٦٣ ـ ٦٤].

فإن هذه الآيات هي مرآة القرآن الصافية، فإذا وجدت في نفسك هذه الأخلاق فأنت رجل قرآني، وقد سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن».

وإن لم تجد شيئاً منها في نفسك فاسأل الله لنفسك السلامة والنجاة وأدركها قبل الفوات.

وإن وجدت بعضها دون بعض فاشتغل بتحصيل ما افتقدته ما دام في العمر بقية.

فحاسب نفسك على الفرائض، فإن تَذَكَّرْتَ فيها نقصاً فتداركه إما بقضاء أو بإصلاح. ثم حاسبها على النوافل وتداركها بالذكر والإقبال على الله.

وافطمها قبل ذلك وبعده عن المنهيات ما استطعت، وأكثر من الحسنات الماحية وتدارك نفسك بالاستغفار والتوبة.

■ ■ ■



وجهـة نظــر (١)

كان العرب يولون الخيل عناية كبيرة، تجاوزت الحد، فآثروها على المال والولـد، وما ذاك إلا لأنهـا عندهم منجى الفـارّ، وعتاد المهـاجم، ومركبة الكر والفر، ومدرعة الطعان، وزينة المتاع، فأحبوها وسجلوا حبها بقصائد عِذَاب.

وجاء الإسلام وأعلن رسوله عليه الصلاة والسلام: «أنَّ الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة».

وقفوا معي ـ أيها الأحبة ـ عند قوله إلى يوم القيامة وتأملوا لو كانت الخيل لعصر دون عصر لما قال عليه الصلاة والسلام ذلك لأنه لا ينطق عن هوى، وإنما يقول ما يقول عن وحي يوحى.

وكان لرسول الله ﷺ عدداً من الخيل يكرمها ويرعاها ويمسح بوجـه خيله وعينيه. ومن أسماء خيله عليه الصلاة والسلام: الملاوح، والورد، ويعسوب، وسَكَاب، وسَبْحه، والظِّرب، ولِزَاز، وغير ذلك.

وسابق الرسول الله بين الخيل التي ضمرت من (الحفياء) وهو موضع بالمدينة إلى ثنية الوداع، ومسافته خمسة أميال أو ستة، وسابق بين الخيل التي لم تضمر من الثنية إلى مسجد بني زريق وبينهما ميل أو نحوه.

وأول مسـابقـة كـانت في الإسـلام سنــة ست من الهجـرة ســابق رسول الله ﷺ بين الخيل فسبق فرس لأبي بكر الصديق رضي الله عنه فأخذ

السَبَق يعني الجائزة وسبق أبو أسيد الساعي رضي الله عنه على فرس رسول الله ﷺ (لزاز) فأعطاه حلة يمانية.

معشر الشباب المسلم: ألا ترون أنا في عصرنا هذا لم نعط الخيل حقها، أما حكومتنا الرشيدة ممثلة في الحرس الوطني فقد أعطت صورة مثالية في الالتزام منذ سنوات طويلة بلا توقف ولا انقطاع بتنظيم سباق للخيل في كل يوم اثنين في بعض مدن المملكة وقراها.

ولكن هذه الجهود التي تنبىء من إصرار وعزيمة أحسبها تتلمس كل ما فيه تطوير لهذا المجال، حسب علمي أن المشاركين في السباقات هم من أصحاب القدرة على شراء الخيل والقيام بمؤنتها من سايس يسوسها، واصطبل، وأعلاف وغير ذلك، ولا يستطيع ذلك إلا القليل فهلا خصص شوط من أشواط السباق للراغبين في الاشتراك من الشباب على خيل يؤجرها لهم النادي بمبلغ رمزي... وهلا خصصت جائزة للجمهور عبارة عن دورة تعليمية لركوب الخيل ينظمها النادي.

وسباق الخيل نوع من أنواع الرياضة فأين الأندية الرياضية عن المشاركة فيه!! حبذا لو خصص شوط آخر من أشواط السباق تتنافس فيه خيل الأندية، ويقام فيه دوري للسباق كدوري كرة القدم وغيرها، وتصفيات أخرى. فمتى نرى فيها خيل الشباب والنصر والهلال والأهلي، والاتحاد والاتفاق والقادسية وغيرها تتنافس في السباق!!

والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة.

■ ■ ■



وجهـة نظـر (٢)

كنت أسير في أحد شوارع الرياض، فانبسطت أساريري، وانشرحت نفسي حين تأملت أشجار هذا الشارع في وسطه وعلى جانبيه، وحسن تنظيمه وتنسيقه، ويعلم الله أن هذا كله ما زادني سروراً أكثر من سروري بنظافة الشارع، قلبت النظر يمنة ويسرة فلم أجد ما يكدر صفو النظر حتى ذرات الغبار التي يعجز كثير منا عن إزالتها في بيته لم أكد أجد منها شيئاً يذكر.

واستغرقت في هذه الخواطر حين وقفت عند إشارة المرور، وما قطع علي حبل تفكيري إلا قطعة منديل مرت أمام ناظري تعبث بها الريح ساخرة وكأنها تريد من الواقفين كلهم أن يشهدوا على العابثين بحق الطريق... لا أعرف صاحب هذا المنديل... وإذا لو عرفته لعاتبته ولقلت له: الله لو كنت في زاوية من زوايا بيتك فضلاً عن مجلسك أكنت ستلقي بالمنديل كما ألقيته هنا؟! الله أهذا جزاء من أحسن إليك وقام بتنظيف شوارعك وأزال كل ما يؤذيك أو يؤذي سيارتك من الأحجار والأخشاب وقطع الحديد!! أليس واجب الفرد منا على الأقل أن يكف عن الناس أذاه... تأمل معي أخي كم تصرف دولتنا الرشيدة على نظافة شوارع مدننا العديدة ولو كانت تصرفه على ما لا نستطيع أن نوفره لها لهان الأمر ولكنها تصرفه أو أغلبه على تصحيح أخطائنا.

تمر السيارة وقد امتلأت بالشباب فيقذفون وهم يضحكون ساهين

لاهين العلب الفارغة وقد يكون بعضها من زجاج... وتمر أخرى لرجل يصحب أولاده ويلقون أغلفة الحلوى وعلب المرطبات وهو يوزع ابتساماته بينهم دون توجيه أو تعليم... وتمر الشاحنة مسرعة تسف الأتربة وتوزعها على الطرقات، بل على أعين وأنوف السائرين وتتساقط الأحجار الصغيرة يمنة ويسرة إن لم تسبب حادثاً عند سقوطها سببت تشويهاً للطريق... وتمر سيارات أخرى تسقط منها الأخشاب والكراتين وقطع القماش البالي...

ولا ننس صاحبنا الذي ألقى بمنديله... وأمثاله كثير، ترى لو صحح كل واحد من هؤلاء خطأه وصوب عمله، وهذب سلوكه، من أين ستأتي الأحجار والأخشاب وقطع الحديد، والعلب الفارغة، والأقمشة البالية لهذا الطريق؟!

أوليس الطريق سيبقى نظيفاً ما لم يلق فيه شيء من ذلك؟!

أخي المواطن لا تحتقرن ما تلقيه في الطريق فإن القليل بالقليل يكثر... واعلم أن حرصك وحرص إخوانك على نظافة الشوارع سيعود على حكومتنا الرشيدة بتوفير مبلغ لا يستهان به... واعلم أن ما تم توفيره سيعود عليك وعلى ابنائك بطريق آخر في انشاء مستشفى، أو افتتاح مدرسة، أو إعانة لمزارع، أو لتوفير الكهرباء، أو الغاز لبيتك... فهلا فكرت في ذلك.

■ ■ ■



وجهة نظر (٣)

شرع الدين الإسلامي الحنيف كل ما يؤدي إلى وحدة الأمة ووحدة كلمتها، وحذر من كل طريق عاقبته الشقاق والنزاع وتفرق الأمة، واختلاف كلمتها. وللجماعة في الإسلام مكانتها وقيمتها الكبرى بل اعتَبَر إجماعَ الأمة من أدلة التشريع.

وانظر أخي المستمع إلى صور متعددة للدعوة إلى الاجتماع بين المسلمين فقد شرع الإسلامُ خمسة اجتماعات يومية لأهل الحي يؤدون فيها الصلوات المفروضة، وشرع اجتماعاً أسبوعياً يؤدي فيه أهل المنطقة صلاة الجمعة، وشرع اجتماعين سنويين يؤدي فيه أهل البلد صلاة العيدين، وشرع اجتماعاً عاماً للمسلمين على صعيد واحد في كل عام، يلتقي فيه المسلمون من كل قطر على اختلاف جنسياتهم وتباعد أقطارهم وأوجب على كل مسلم حضور هذا الاجتماع مرة واحدة في حياته هذا عدا الاجتماعات الطارئة لصلاة الاستسقاء أو الكسوف أو الخسوف أو الجنائز ونحو ذلك.

أرأيتم كيف اعتنى الإسلام بالاجتماع بين المسلمين، ولا شك أن الصلاة مع جمع من الناس يشعر معها المصلي بإقبالٍ في صلاته، وخشوعٍ في أدائها، لما يضفيه الجمع من هيبةٍ وتذكيرٍ للقلب بأن هؤلاء كلهم يخضعون لمن خَضَعْتَ له، ويتجهون بأفئدتهم لمن اتجه إليه فؤادك، فيلين القلب، وتخشع الجوارح.

وأحسب أن الخشوع يزيد بكثرة الجماعة، وانظر إلى صلاة الجمعة كيف يحضرها من لا يحضر الجماعات الأخرى، وصلاة العيدين مع عدم فرضيتها كيف يحرص المسلمون على الخروج لأدائها، وانظر إلى الحج وأثره في النفس الإنسانية، وما يحصل فيه من خشوع وحضور قلب.

واعتبر كثير من العلماء أفضلية المسجد الأكثر جماعة على المسجد الأقل جماعة، إذا استوت في الأمور الأخرى. ولا شك في فضل بناء المساجد وتعددها لتشجيع جيران المساجد على أداء الصلاة فيه جماعة ــ لكن الذي لا ينبغي هو أن نُعدِّدَ المساجد الجوامع في الحي الواحد الصغير بحيث لا يبعد أحدها عن الآخر كثيراً فلا يتحقق معنى الاجتماع الأسبوعي... فنصلي الجمعة في المسجد كما نصلي سائر الفروض ولا تكاد الجماعة تزيد عن جماعة سائر الأيام إلا بالأفراد الذين لا يؤدون في المسجد إلا صلاة الجمعة ولو نظرت في كل جامع منها لما وجدت ما يملأ نصفه، أرأيتم لو وحدت الصلاة في الحي الواحد في أوسط هذه الجوامع، وأوسعها مساحة، واختير له أفضل هؤلاء الأئمة، وامتلأ المسجد بالمصلين وارتجت جوانبه بالتأمين في وقت واحد، ومتعت ناظريك بهذا العدد الكبير من المصلين... إني لأجزم بأنك ستشعر بمعنى الصلاة أكثر مما تشعر به حين تؤديها في مسجدك اليومي مع الأفراد والجماعة الذين تراهم كلَّ يوم فلا تكاد تجد مزية تذكرك بهذا اليوم... والفضل في بناء المساجد وزيادة عددها وليس في تكثير الجوامع ومقاربتها...

وفق الله العاملين المخلصين.





وجهة نظر (٤)

كان الكتاب السعودي موضوع حديث بيني وبين بعض الأصدقاء عن مكانته وعن مستواه، وعن نشره، وعن ثمنه...

أما مكانته فحقه أن ينال منها نصيباً وافراً باعتباره مرآة تعكس الواقع الفكري والثقافي لهذه البلاد، ولم تقصر حكومتنا الرشيدة في واجبها نحوه فأجهزتها على اختلافها تشتري من الكتاب السعودي وبسعر تشجيعي للمؤلف، وكثير من هذه الدوائر توزعه مجاناً، وهذه يد بيضاء من الحكومة الرشيدة على المؤلفين السعوديين يذكرونها ويشكرونها.

هذه مكانته لدى الحكومة فما هي مكانته عند الصحافة والصحفيين؟!

حسن ظني برحابة صدر هؤلاء يحملني على أن أقول الحقيقة المرة. وكما قال بعض الكتاب أن مشكلة الصحفيين عندنا أن الأخبار تأتيهم ولا يأتون إليها فإن الكِتَابَ كذلك يعرفون منه ما يُهدى إليهم، ويحرص بعضهم على أن ينص في أول مقاله على عبارة (أهدى إليّ فلان كتابه) وكأنه يريد أن يبرر سبب الكتابة عنه، مما يجعل بعض المؤلفين يأنف عن أن يُهدي كتابه لأحد منهم خشية أن يعتقد أنه يريد تقريظه أو الإشارة إليه.

وواجب الصحافة أن تعتني بالكتاب السعودي وتسند ذلك إلى كتّاب متخصصين يبحثون وينقبون عن الكتاب السعودي ويعرضون بعض الكتب

وينقدونها نقداً سليماً بعيداً كل البعد عن العلاقات الشخصية، والمجاملات الصحفية، فتؤدي الصحافة بذلك دورها المطلوب في نشر الوعي الصحيح.

أما مستوى الكتاب السعودي العلمي فلا يكاد يختلف عن المؤلفات الأخرى، فمن المؤلفات السعودية ما يرتقي إلى درجات عالية من حيث المستوى العلمي، بل أن منها ما يعرف في الخارج أكثر مما يعرف في الداخل، ومنها ما ترجم إلى عدد من اللغات وصحافتنا هنا لا تعرف عنها شيئاً، ولو كان مؤلفه غريباً لتباشر بعض الكتاب به، وبظهور عَلَم جديد يخلف فلاناً وفلاناً ومنها ــ بلا شك ــ مؤلفات هبط مستواها إلى درجة مؤسفة لكن العلاقات الشخصية، والمجاملات الزائفة، تجعل فلاناً يقرظه زوراً... وفلاناً يثني عليه افتياتا، فيتخذ من هذا وذاك هالة زائفة هي كبيت العنكبوت فيكون الكتاب السمين ضحية الكتاب الغث.

عزيزتي الصحافة... أنت البصر الذي ينظر به كثير من القراء فعليك مهمة كبرى بأن تنظري نظرة حق وأن تَزِني الأمورَ بموازينها، حتى ولو احتاج ذلك إلى تقويم النظر أو علاج البصر ودمت سالمة من كل مكروه... ولي حديث آخر إن شاء الله في بقية الموضوع.

■ ■ ■

وجهة نظر (٥)

مستمعيَّ الأفاضل ـ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. . . تحدثت معكم في حلقة سابقة عن مكانة الكتاب السعودي، وعن مستواه العلمي، وأتحدث معكم اليوم عن نشره وتوزيعه، وعن سعره.

أما نشره فالحديث ذو شجون كما يقولون. . . ينظر بعض الناشرين ـ عفا الله عنا وعنهم ـ إلى مردود الكتاب المادي قبل أن ينظر إلى مردوده المعنوي. . . ونحن لا ننكر على الناشر النظر إلى عائد الكتاب ولكنّا نأمل أن يحسن اختيار الكتاب أيضاً، فخير له وخير لمجتمع أن ينشر كتاباً قَيِمَاً ذا مستوى رفيع وإن كان دخله قليلاً، من أن ينشر كتاباً قَيِمَاً ذا مستوى رفيع وإن كان دخله قليلاً، من أن ينشر كتاباً هزيلاً له دخل مرتفع.

ويغمط بعض الناشرين أيضاً المؤلفَ حقَّه، وتحت رغبة بعض المؤلفين في إخراج كتبهم ونشرها ينفذ الناشر إلى إملاء شروطه على المؤلف.

أما سعر الكتاب السعودي فإني لا أذيع سراً إذا قلت أنه مرتفع، وإني لعلى ثقة من اتساع صدر وزارة الإعلام الجليلة لنقدها هنا، وما إذاعة حديثي هذا عبر جهاز من أجهزتها المسموعة إلا دليل على اتساع صدرها لقبول النقد.

وزارة الإعلام تشترط في إذنها لطبع الكتاب السعودي أن يطبع داخل

المملكة تشجيعاً لشركات المطابع!! وكـان واجب المطابـع تقديـراً لدعم حكومتنا الرشيدة لها، واعترافاً بالجميل أن تقدر ذلك فتضع أسعاراً خاصة للمؤلفين السعوديين لا تزيـد كثيراً عن أسعـار الطبـاعة في بعض البلدان المجـاورة... فلا تضـع الكتاب السعـودي في موقف حـرج بين الكتب لارتفاع سعره في عقر داره.

على وزارة الإعـلام الجليلة أن تسعى لتحقيق ذلك، أو أن تستثني المؤلفات السعودية العلمية فتأذن بطباعتها في الخارج فالكتـاب السعودي والمؤلف السعودي بحاجة إلى التشجيع أكثر من حاجة شركـات الطبـاعة التجارية.

وكم أتمنى أيضاً أن تسند وزارة الأعلام الجليلة ما يُطلب منها الإذن بفسحه إلى لجنة مختصة تنظر إلى مستوى الكتاب وقيمته العلمية، فلا تأذن بالطبع إلا للكتاب الجيد، أما ما دون ذلك فإما أن تمنع نشره، أو أن لا تلتزم الدولة في كافة أجهزتها بأي لون من ألوان التشجيع له. وبذا نحد من ظهور الإنتاج الرديء، ونشجع من يستحق التشجيع.

■ ■ ■

وجهة نظر (٦)

الإعلام. والإعلان. والدعاية... مصطلحات لمعان مختلفة المدلول وإن كانت متقاربة المعاني... وقد لا يدرك الفرق بينها كثير من المثقفين ولكن الذي لا يغتفر أن يخفى ذلك على بعض رجال الصحافة... والذي يعرفه منهم هو في مقام من لا يعرفه إذ لا أثر لعلمه في صحيفته.

ساهمت حكومتنا الرشيدة في توفير كل ما من شأنه النهضة الحضارية لهذه البلاد فأنشأت المدارس والجامعات واستقدمت الخبراء في الزراعة، والصناعة، قدمت القروض للبناء والاستثمار، شجعت المزارعين فمنحتهم الأرض وحفرت لهم الآبار، وأعانتهم على شراء المعدات الزراعية، واشترت منهم الحبوب والثمار بأضعاف ثمنها ثم عادت وباعتها على المستهلكين بأرخص من ثمنها، شجعت الشركات الزراعية كما شجعت الأفراد بل أكثر من ذلك، ونقلت الأبقار لمزارع الألبان على طائراتها مجاناً... أما المصانع فسهلت لها كل سبيل منحتها القروض الكبيرة لسنوات طويلة، بل ساهمت فيها بما يعجز المستثمرون عنه من رأس المال وإن كان المشروع مما يتهيب المستثمرون الإقدام عليه لضخامته أنشأته الحكومة وتحملت أتعابه فإذا بدأت ثماره أهدته إلى المواطنين لتملكه، مكتفية بربحها من هذا المشروع بوجوده على أرضها وبتملك المواطنين له. ضاربة أروع الأمثلة في خدمة مواطنيها وتوفير سبل العيش الرغيد لأبنائها...

هذه التضحيات الجسام والخدمات الجلى والإعانات الكبيرة كان حقها أن تكون قدوة لوسائل الإعلام عندنا فتزور عدسة التلفاز هذه الشركات وهذه المصانع لتنقل صورة صادقة ليست إعلانية ولكنها إعلامية... والتلفاز وإن كان يفعل ذلك بين حين وآخر لكني أرغب المواظبة عليه. أما الإذاعة فعلمي أنها تفعل ذلك في برامج خاصة أسبوعية.

أما أنت أيتها الصحافة العزيزة فكم وقفت حائراً أنظر إلى خبر تافه شغل حيزاً كبيراً بين صفحاتك... لا أقول أنه لا يستحق جهودك أو جهود صفه أو طبعه ولكني أقول أنه لا يستحق... مداده.

لا أقصد بهذه الأخبار السياسية أو العلمية الجادة ولكني أقصد أخباراً أخرى كثيرة لا تخفى على المتابع تساق من باب الطرائف والتسلية وما هي بذاك.

أرأيتم هذا الحيز لو كان فيه تحقيق إعلامي لا إعلاني عن شركة من شركاتنا الوطنية، أو نقد صادق بنّاء لمشروع من مشاريعها، أو دراسة لمصنع من مصانعنا العملاقة وبيان مزايا إنتاجه، أو اقتراح الحلول لما يواجهه من مشاكل.

أرأيتم لو كتبت صحافتنا عن الشركات ووضعها المالي وحضر مندوبوها الجلسات العمومية السنوية لها، وتناولت على صفحاتها ما يوجه لها من نقد ألا يكون هذا من أسباب النهوض بالشركة، وإخلاص العاملين فيها، وجدهم في إداراتها فلا يبقى إلا الصحيح...

معشر الصحفيين ليس الصحفي الذي يتخذ مقعداً وثيراً، ومكتباً عريضاً، ولكنه الذي يدور كالنحلة فيجني الكلمات المفيدة ويقدمها لقرائه كالشهد.

■■■





وجهة نظر (٧)

كما ميز الله أرض هذه البلاد الطاهرة بالحرمين الشريفين، وجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم من كل فج عميق فإن أولي الأمر في هذا البلد الطاهر ما فتئوا يحرصون على بقاءها على طهرها ونقاءها وينفون عنها الخبث كما ينفي الكير زغل الحديد، ويذبون عن مبادئها وعقيدتها لا يوفرون في سبيل ذلك ديناراً ولا درهماً.

وتحرص وسائل الإعلام عندنا من هذا المنطلق على الالتزام، فلا تكاد تجد بلداً في العالم كله يلتزم إعلامه بمبادىء الدين والأخلاق والآداب السامية كما يلتزم الإعلام في بلدنا وهذه نعمة نحمد الله عليها وندعوه جل وعلاه أن يأخذ بيدها أيضاً إلى ما هو أفضل منها.

ومن أفضل ما يقدمه تلفازنا العزيز تلكم الندوات الدينية، واللقاءات الفكرية، والبرامج العلمية، والأدبية، وتلكم البرامج العلمية الدقيقة سواء كانت طبية، أو دعوة للتفكير في خلق الإنسان، أو إلى النظر في عجائب خلق الله في الحيوان، أو النبات، أو في البر، أو في البحر، أو في الجو، والفضاء الخارجي، أو في الأنهار، أو في الجبال، أو في المحيطات.

مما يجعل العاقل يحرص على تسجيل مثل هذه البرامج لنفسه ولأطفاله ليستعيدها معهم فيكسب علماً ومعرفةً، وقد لا يستطيع كثير من المشاهدين تسجيلها وهنا يفوته كنز علمي كان حرياً بالمختصين توفيره

له... وأعني بالمختصين هنا أصحاب محلات الفيديو التجارية الذين تمتلىء بهم شوارعنا وتمتلىء محلاتهم بالأشرطة والأفلام.

فما يضير هؤلاء أن يحرصوا على شراء حق توزيع هذه الأفلام النافعة، بل وما يضيرهم أن يقوم القادرون منهم على تصوير المحاضرات التي تلقى في جامعاتنا والاحتفالات والمهرجانات التي تنظمها الأجهزة الحكومية، أو بعض الأفلام الاستطلاعية عن مدننا العديدة، أو عن الصناعة أو الزراعة، أو التعليم في بلادنا، لتكون هذه الأفلام قريبة للمواطن ولغيره ممن يريد أن يعرف حضارة هذا البلد الأمين وسر نهضتها.

وما يضير هذه المحلات إن كان أفرادها لا يستطيعون ذلك أن يجتمع القادرون منهم على تأسيس شركة فيما بينهم تعني بهذا الجانب الهام ولا ضير أن يشاركهم إن لم يستطيعوا القيام بذلك بعض رجال الأعمال خدمة لهذا البلد ومشاركة منهم في إبراز نهضته وإظهارها.

وليكتفوا بالربح القليل في مثل هذه الأفلام، وكفاهم ربحاً أنهم سيقدمون خدمة سامية في سبيل الثقافة العامة لابناء هذا البلد، ومساعدة منهم للشباب على حسن الاختيار والاستفادة الجادة فيما يعود عليهم وعلى بلادهم بالنفع والفائدة وكفى بذلك من ربح.





وجهة نظر (٨)

الرئاسة العامة لرعاية الشباب مؤسسة هامة من المؤسسات التي أنشأتها حكومتنا الرشيدة ـ وفقها الله ـ في سبيل نهضة هذا البلد، وخصت الشباب لأنهم هم القوة المؤمل فيها القيام بهذه النهضة في كل عصر.

ووقفت طويلاً عند كلمة «لرعاية الشباب» من اسم هذه المؤسسة الغالية «الرئاسة العامة لرعاية الشباب»... قلت في نفسي الشاب يتكون من جسد وروح وحق علينا أن نرعى روحه كما نرعى جسده ولأجله انشئت الرئاسة.

ولا تكاد تجد قرية في بلادنا العزيزة فضلاً عن المدن ليس فيها ناد رياضي أو أكثر تقوم الرئاسة بدعمه مادياً ومعنوياً... وتسر كثيراً حين تقرأ على لوحة كل ناد ما يلي: «نادي كذا ثقافي... اجتماعي... رياضي».

فتبتهج وتقول هكذا فلتكن النوادي... ولكن فرحتك لا تدوم حين تكتشف أن غالب هذه النوادي لا تعرف من مهماتها إلا الرياضة البدنية... وحتى هذه لا تعرف منها بعض هذه الأندية إلا كرة القدم...

بالله عليك أمن أجل هذا وحده أنشئت هذه النوادي، الذي أعرفه أن الرئاسة العامة لرعاية الشباب تحثهم كثيراً على الاهتمام بالجانب الثقافي والاجتماعي، وضربت لهم الأمثلة الحسنة من نفسها حين انشأت الأندية

الأدبية فهي تعطي صورة صادقة عن اهتمام المسئولين في رعاية الشباب برعاية الفكر والثقافة، وإنشاء أجهزة مستقلة تعنى بهذا الجانب.

ألا ليت النشاط الثقافي في الأندية الرياضية يُسند إلى ذي ذهن وقَّاد، وعزيمة صادقة، وحماس شديد، ليبعثها من رقدتها... فينظم المحاضرات والندوات، ويعرض الأفلام العلمية، ويعقد الدورات لتحفيظ القرآن والثقافة الإسلامية، ويقوي صلته بالأندية الأدبية، والجامعات والمعسكرات الصيفية التي تنظمها بعض الجامعات والمعاهد.

أين المباريات الثقافية... نريد إقامة مباريات ثقافية بين نادي الهلال ونادي النصر مثلاً، أو بين الأهلي والاتحاد، أو بين الاتفاق والنهضة... وغيرها من الأندية... لِمَ لا يكون هناك تصفيات سنوية في المباريات الثقافية يأخذ الفريق الفائز فيها كأساً كما يأخذ الكأس في كرة القدم أو السلة أو غيرهما.

ثم العطلة الصيفية وهي فترة طويلة تتوقف فيها الدراسة، وتتوقف فيها المباريات الرياضية أيضاً؟! لِمَ لا يقوم القسم الثقافي في كل ناد بإعداد مسابقة ثقافية ترصد لها الجوائز القيمة ليشتغل الشباب في تحصيل أجوبتها طوال الإجازة تملأ فراغهم وتنمي عقولهم، وتحفظ فكرهم، وتبعدهم عن رفاق السوء، وتهدي إليهم الجليس الصالح.

وحينئذ تؤدي الأندية الرياضية رسالتها.

■ ■ ■



وجهـة نظـــر (٩)

شهدت بلادنا العزيـزة قفزة في مجـال التعليم فحققت في سنوات معدودة ما لا يتم تحقيقه إلا في آماد طويلة... قبل سنـوات قليلة كان الحاصل على الابتدائية ذا مركز مرموق في التعليم، ثم انشئت المدارس المتوسطة ومعاهد المعلمين والمعاهد الصناعية والمعاهد العلمية، ثم وفي فترة وجيزة أصبح لدينا سبع جامعات، وما يزيد على عشرين كلية لإعداد المعلمين وكليات أخرى أمنية، وبحرية، وجوية وحربية، وتقنية.

وأصبحت جامعاتنا وكلياتنا ومعاهدنا على اختلاف تخصصاتها مهوى الأفئدة، ومُشْرَأَبَّ الأعناق ليس في الداخل فحسب، بل أوى إليها طلاب من دول شقيقة من الخليج واليمن، ومن الأردن وسوريا وفلسـطين ولبنان ومن دول أفريقية عربية وغير عربية ومن آسيا وأوروبا وغيرها من الدول.

وقد أعطت حكومتنا الـرشيدة أروع الأمثلة في بـذل العلم لطالبـه، وعدم الاستئثار به فوزعت المنح الدراسة على الدولة الشقيقة والصديقة، فكم تخرج من جامعاتنا وكلياتنا من مهندس أو من طيار، أو من طبيب.

ولم يتوقف العطاء على المنح الدراسيـة بل تم منـح معاهـد كاملة بمدرسيها ومبانيها وبأثاثها ونفقاتها، وكم من معهد فتحته بلادنا في بلدان عربية وإسلامية وما زالت تشرف عليه إشرافاً كاملاً... وما تزال يد العطاء مبسوطة، ويد البذل ممدودة.

وقد وافق هذه النهضة التعليمية تطبيق نظام الساعات المقررة في بعض مراحل التعليم، ولهذا النظام محاسنه وله عيوبه، وليس مرادي هنا بيان كُلّ، ولكني أطمح إلى تحقيق إحدى محاسنه في مراحل أخرى من التعليم.

ذلكم أن سنوات التعليم معدودة لا تقل عن ست عشرة سنة ينال بعدها الطالب الشهادة الجامعية، والسنوات معدودة محسوبة من عمر الإنسان وتعثره في سنة من هذه السنوات خسارة علمية لسنة من عمره. أما بالنسبة للدولة فتعثر الطالب فيها زيادة غير منظورة لطالب تكرر تدريسه يكلف الدولة ضعف حقه... إذاً فالأمر خسارة هنا وهناك على الحكومة وعلى الطالب... وفي نظام الساعات حل لهذه المشكلة.

فالطالب الذي يرسب مثلاً في إحدى السنوات الإبتدائية في مادة واحدة ثم يعيد السنة كلها لأجل هذه المادة فإنه يعيد دراسة مواد سبق وأن نجح فيها فيكون عبئاً لا ضرورة له على مدرسي هذه المواد ويشغل مكاناً كان المفروض أن يشغله غيره، أو على الأقل أن يوفر نفقاته، والأفضل له أن يدرس بدلاً منها مواد جديدة من السنة التالية وبذا نوفر عليه سنة من عمره كاد أن يخسرها ونوفر على الحكومة نفقات دراسته لمواد سبق وأن درسها ونجح فيها... والأمر يحتاج إلى نظر وتخطيط ودراسة... وهذا ما نؤمله.

■ ■ ■





وجهة نظر (١٠)

الحياة القويمة الفاضلة في هذه الدنيا، والفوز بالجنة، والنجاة من النار، يوم القيامة هما الأمنية الكبرى والغالية لكل عاقل مفكر، ولم يكلفنا ربّنا سبحانه وتعالى مشقة البحث عن الطريق المؤدي للفوز بالدارين بل أرشدنا إليه في أصرح عبارة وأوجزها فقال عز شأنه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾.

إذاً فالقرآن والعمل به هو المخرج بل هو المخرج من كل فتنة فقد قال عليه الصلاة والسلام إنها ستكون فتنة وحين سئل ما المخرج منها يا رسول الله قال: «كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا ينقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدِيَ إلى صراط مستقيم».

أيتها القلوب المؤمنة: كتاب هذا بعض حقه... لا شك أن الاهتمام به واجب، والعناية به لازمة، ولنا في سلفنا الصالح قدوة حسنة؛ فقد قرأوا القرآن وحفظوه وعملوا به، وطبقوا تعاليمه في حياتهم اليومية فكان نبراس حياتهم ونجاة مركبهم.

وأول ما يجب علينا معشر المستمعين أن نتلوه حق تلاوته، وكم حزَّ في نفسي حين استمعت إلى قراءة عدد من المثقفين المتعلمين لا يقيمون حروفه ولا يحسنون تلاوته، وآلمني أكثر وأكثر حين رأيت مدرسين يدرسون القرآن ويعلمونه لأبنائنا يلحنون في آياته لحناً جَلِيًّاً.. وحين يقع الخطأ من مدرس القرآن نفسه فإن عاقبته أخطر وأعظم؛ لأنه سيخرج لنا المئات من الطلبة أفضلهم سيكون مثله فكان حقاً على المسؤولين عن التعليم أن يعدوا المدرس الكفء لتدريس القرآن الكريم المعد إعداداً كاملاً، وبلادنا كسائر البلاد الإسلامية تفتقر إلى هذا النوع من المدرسين، ولن يتحقق لنا حل هذه المشكلة التعليمية ما لم نهتم بها، ونعطها حقها من العناية.

فلنبدأ بالاهتمام بمراكز ومدارس تحفيظ القرآن الكريم وعلينا أن نختار من المتفوقين منهم طلاباً نبتعثهم ابتعاثاً داخلياً إلى معاهد القرآن أو إلى كلية القرآن الكريم في الجامعة الإسلامية. حتى نضمن عودتهم إلينا بعد تخرجهم ونحولهم إلى المدارس حتى نوجد مدرس القرآن الذي يحسن العطاء فتتحسن النتيجة ويخرج لنا جيل يتقن تلاوة القرآن فيفقه معانيه، ويؤدي أول حق من حقوقه بتلاوته حق التلاوة... أما واقعنا الحالي فهو مُرٌّ وفاقد الشيء لا يعطيه.

■ ■ ■





وجهة نظر (١١)

مر التعليم في بلادنا العزيزة بمراحل كثيرة فمن مرحلة الكتاتيب... إلى مرحلة المدارس المبتدئة... إلى أن وصل التعليم في بلادنا في سنوات قليلة إلى ما لم يصل إليه الآخرون إلا في سنوات طويلة... بل تجاوزنا بحمد الله وبفضله بمراحل كثيرة بعض البلدان التي كانت تعد من الدول المتقدمة في مجال التعليم.

لن أتحدث عن التعليم ما دون الجامعي فالحديث عنه وعن القفزة التعليمية فيه لا يستوعبه حديث كهذا الحديث... أما التعليم الجامعي وما بعده فيكفي أن دولتنا الرشيدة أوجدت لاهتمامها به وزارةً مستقلةً هي وزارة التعليم العالي... ويكفي أن يبلغ عدد جامعاتنا سبع جامعات من حيث الكم، أما من حيث الكيف فإن جامعة واحدة من هذه الجامعات تعادل عشر جامعات في بلدان أخرى ليس من حيث عدد الطلاب ولا من حيث المباني، ولا من حيث المعامل، والتجهيزات، ولكن من حيث التخصصات المتعددة، وفوق هذا العدد لدينا في بلادنا العزيزة كليات في مختلف التخصصات.... كليات إعداد معلمين، وكليات تقنية، وكليات بحرية، وكليات حربية، وكليات أمنية، وكليات جوية... مما جعل أبصار كثير من أبناء البلدان الأخرى ترنو إلى الدراسة في بلادنا، ولم تبخل بلادنا العزيزة عليهم بشيء من ذلك فقدمت المنح الكثيرة لهؤلاء لمواصلة الدراسة في بلادنا وعاملتهم كما تعامل أبناءها.

ولا شك أن لهذا المستوى الرفيع من التعليم العالي في بلادنا نتاجه وثماره لا أقول في تخريج العلماء المؤهلين في مختلف التخصصات فحسب، ولكن في البحوث العلمية والرسائل الجامعية، المقدمة للماجستير والدكتوراه حيث تقبع على أرفف هذه الجامعات أبحاث ورسائل عليا، تُعَدُّ من أعلى البحوث وأندرها وبقاؤها على هذه الرفوف فيه هضم لحقها، وطمس لجهود جامعاتنا، وغمط لحقها ومكانتها بين الجامعات.

فحق على المجالس العلمية في هذه الجامعات أن تخرج هذه البحوث وأن تبيعها بيعاً حتى تغطي نفقاتها وحتى يستمر إخراج هذه الكنوز.

وإني لأجزم أن بعض هذه البحوث لو كان لدى جامعات أخرى لفاخرت به في كل ناد ولرشحته لكل جائزة، ولأصبح وصاحبه يشار إليه بالبنان في صفوف العلماء، فإلى متى تهضم الجامعات حقَّها بنفسها، وحقَّ أبنائها، وحقَّ مؤلفاتهم وأبحاثهم.

لا أريد أن أنكر الجهود الموفقة لمركز البحث العلمي في جامعة أمِّ القرى بمكة المكرمة لكني أريد أن يكون الميدان أوسع والتوزيع أفضل، وبارك الله في الجميع وسدد الخطى.





وجهة نظر (١٢)

الغذاء الفكري للعقل أهم من الغذاء المطعوم للجسد، وبانقطاع الأول يصبح الانسان كالانعام بل هو أضل، وبانقطاع الثاني يموت الجسد ويبقى الذكر والذكر للإنسان عمر ثاني.

ويشكو كثير من الناس عزوفهم عن القراءة، وعن حب الكتاب، وهم يحسبون هذا جبلة لا يستطيعون تعديلها ولا تقويمها، وما عرف أولئك أن الأمر ليس كما يظنون.

واضرب لهؤلاء مثلاً بالجسد الذي انصرف صاحبه عن الطعام لمرض أو علة لا يجد في نفسه قبولاً فضلاً عن الرغبة في الطعام، بل يعزف عنه وإن أكل فعلى مضض يتجرعه... وأهل العلم والخبرة يلحون عليه في أن يقاوم وأن يلزم نفسه بالأكل حتى إذا دار الأكل دورته واستعاد الجسم نشاطه عادت إليه رغبته في الطعام فلا يكاد يتركه، وقد تتأخر العودة وقد تطول حسب مرض الجسد.

إذاً فأنت يا من لا تجد في نفسك ميلاً إلى القراءة ليس الأمر كما تظن... فحاول أن تلزم نفسك، واعلم أنَّ تأخر تحولك إلى حبِّ القراءة إنما يعني شدة مرضك الفكري إن صحت التسمية.

ثم انظر إلى صحبك وأقرانك واحرص على أن يكونوا من العقلاء

الذين يطلبون غذاء العقل كما يطلبون غذاء الجسد. . . وإذا حققت هذا وذاك فإنك ستجد في القراءة لذة لا تضاهيها لذة طعام الجسد.

وكم رأينا ممن جلس على مائدة الغذاء العقلي لا يقوم إلى مائـدة الغذاء الجسدي إلا بعد إلحاح طويل. . . واقرأوا في بطون الكتب العبارات الخالدة التي سطرها أرباب القراءة، وأصحاب المجالس العلمية من سلفنا الصالح. . .

وحق على رجال التربية والتعليم أن يغرسوا حب الكتاب في نفوس طلابنا بإهداءه إلى المتفوقين منهم في كل نشاط، وارشادهم إلى المفيد من الكتب، وتخصيص أوقاتٍ كافيةٍ لزيـارة المكتبة المـدرسية والاستفـادة من العطلة الصيفية في المسابقات العلمية التي تربطهم بالكتاب.

وكم أود من وزارة المعارف الجليلة أن تسند الاشراف على المكتبات المدرسية إلى بعض المتحمسين الراغبين في ذلك لتؤدي هـذه المكتبات رسـالتها وأهم من ذلـك أن يبقى أمين المكتبة المـدرسية طـوال الاجـازة الصيفية يفتحها بـانتظام لابنـاء الحي يقرأون فيهـا الكتب المفيدة والعلوم النافعة، ويستذكرون بها دروسهم ويسألون عما يشكل عليهم فتحفظهم بهذا من الطريق، واللعب في الشوارع، ومن رفاق السوء، ومن اهدار أوقاتهم فيما لا فائدة فيه. . . أملي أن يُنظر في الأمر نظرة جادة، وأن تتحقق ثماره إن شاء الله تعالى. . .





وجهة نظر (١٣)

الإذاعة، والصحافة، والتلفاز، من أهم وسائل الأعلام والاتصال بالناس على اختلاف طبقاتهم، ويهدف الاعلام إلى النهوض بالمستوى الديني، والثقافي، والسياسي، والاجتماعي، في الأمة التي يوجه إليها... ولذا تتنافس وسائل الأعلام لاستقطاب العلماء المبرزين في هذه المجالات وفي غيرها ليوجهوا أفكارهم عبر أجهزتها.

هذه قضية مسلمة لا شك فيها أن مهمة الاعلام النهوض بالأمة في هذه المجالات وغيرها، ولكن هذا يخفى على بعض الاعلاميين أو على الأقل فإنَّ أقلامهم تُنكره، إن لم تنكره ألسنتهم، والأمر جِدٌّ دقيق... ويتضح في الاجابة على سؤالٍ، هل مهمة الصحافة مثلاً أن تكتب ما تروج به صحفهم عند القراء، أو أن تكتب ما يفيد القراء ويرتقي بأفهامهم وأذهانهم!!

طائفة من الكتاب الصحفيين يقول أحدهم: «إنني أكتب للقراء ما يحبون أن يقرأوا لا ما يجب أن يقرأوا» ويبرر ذلك بقوله: «فأنا لا أضع نفسي هادياً للقراء وناصحاً ومرشداً».

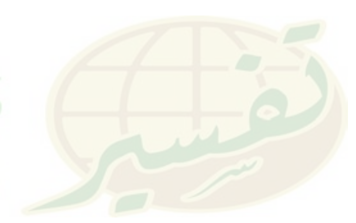
وإذا كنا على وفاق في أن مهمة الصحافة هي رفع المستوى الثقافي عند القراء وتقديم خلاصة الأفكار، والآراء، والأخبار السياسية، والعلمية، وغيرها، خدمة لهم، وتوفيراً لوقتهم، فإن التوجيه، والاصلاح الاجتماعي

عبر الصحافة من أهم ما يقدم إلى القراء فليس على الصحافة أبداً أن تقدم للقراء ما يحبون حتى تروج الجريدة ولكن عليها مهمة أكبر هي التي تمنح الصحافة السموَّ والرفعة وهي: أن تقدم إليهم ما يجب أن يعرفون وما فيه صلاح هذه الأمة وتوجهها التوجيه السليم، ولا يلزم أن يقوم الصحفيون كلهم بذلك فمن استطاع منهم ذلك فبها.. ومن لم يستطع فعليه مهمة الاتصال بالقادرين على ذلك، والجدُّ في الحصول على مقالاتهم.

ومن هذا المنطلق ينبغي على الصحافة عندنا أن لا تغلب جانباً على جانب بل تقارب بين الصفحات الإسلامية، أو الأدبية، أو الثقافية، والاعلامية، والاستطلاعات عن المشاريع العمرانية، والصناعية، والزراعية، وغيرها.

إن الاكثار من الصفحات الرياضية يوجب على المحرر أن يبحث عن أي مقال يملأ به صفحات الجريدة، ولو اكتفى بصفحة واحدة، واختيرت المقالات الصحفية المفيدة، والتحليل الموجز الجاد لما بقي إلا ما ينفع الناس وأما الزبد فيذهب جفاء... وعلينا أن ننتفع من كل المجالات. فلا نغمط حق مجال لمجال آخر تخرج به عن حد المصلحة إلى حد الثرثرة الصحفية التي تضر أكثر ما تنفع.

■ ■ ■



وجهة نظر (١٤)

النهضة الحضارية التي عمت بلادنا الغالية في السنوات الأخيرة لم تقتصر على جانب دون جانب ففي مجال الزراعة أصبحت هذه الأرض الصحراوية بقدرة الله سبحانه وتعالى ثم بعزم الرجال المخلصين أرضاً زراعية لم تتوقف عند حدٍّ الاكتفاء الذاتي بل تجاوزتها إلى حد التصدير. حتى الإنتاج الحيواني أصبحت بلادنا بحمد الله تصدر الدجاج اللاحم والبيض. . .

وفي مجال الصناعة غطت المصانع أرجاء عريضة في بلادنا العزيزة، ولم نقف عند حد إنشاء المناطق الصناعية في المدن بل تجاوزتها إلى إنشاء المدن الصناعية في شرق البلاد وغربها، ويكفي أن صناعاتنا قد غزت البلاد الأوروبية ونافست مصانعها في عقر دارها.

وفي مجال التعليم أصبحت بلادنا منهلاً لطلاب العلم من البلاد العربية والإسلامية تهفوا إليها قلوبهم، فرحبت بهم البلاد، وأفسحت لهم الصدر في معاهدها وكلياتها وجامعاتها.

وفي مجال الصحة انشئت في بلادنا العزيزة المستشفيات والمستوصفات ومراكز العلاج الطبي، والأبحاث الطبية وعمت مختلف التخصصات فمن المستشفيات العامة إلى المستشفيات التخصصية، ومستشفيات العيون، والأسنان، والولادة، والأطفال، والدرن، والأمراض الصدرية، والأمراض النفسية، وغير ذلك من التخصصات.

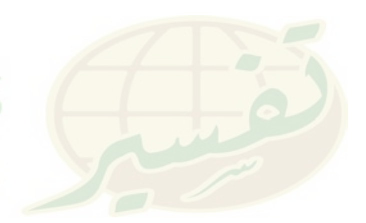
ولم تبخل يد الدولة المعطاء على المقيمين من مختلف الجنسيات فأفسحت لهم المجال للعلاج المجاني، وعاملتهم فيها كما تعامل أبناء البلاد أنفسهم، وتجاوزت هذا فأفسحت لهم صدرها الحاني وفتحت مستشفياتها للمرضى في الخارج الذين عجز الأطباء في بلادهم عن علاجهم ومن هم خارج بلادهم فجاء إلى أرض هذه البلاد الطاهرة فوجدوا الشفاء بإذن الله تعالى.

وقد أدَّى هذا إلى زيادة العبء على مستشفياتنا، مما لا يتيح كثيراً للمواطن سهولة العلاج وتيسيره، خاصة للموظف الذي لا يجد من وقته إلا القليل.

وكم يتمنى موظفو الذولة لو أفسح لهم العلاج في العيادات الخارجية للمستشفيات العسكرية للتخفيف عن المستشفيات الأخرى، وإذا احتاج الأمر إلى تنويم يحال إلى المستشفيات العامة، أو الأهلية حسب رغبة المريض.

وقد ضرب الحرس الوطني مثلاً حسناً في بعض مستشفياته، وما أجمل تعميم هذه الفكرة والجميع اخوة ينتمون لوطن واحد، ودين واحد، وينبض قلب كل واحد منهم بحب هذا البلد وحكومة هذا البلد، وفق الله الجميع وسدد الخطى إنه سميع مجيب.





وجهــة نظــر (١٥)

عمّت النهضة الحضارية في بلادنا العزيزة في شتى المجالات. . . فنهضة في الصناعة جعلت المملكة في مصافٍّ الدول الصناعية العريقة في بعض الصناعات، ونهضة في مجال الزراعة حـولت الأرض الصفراء إلى أرض خضراء. ونهضة في مجال الصحـة والطب شدهت الأطباء فضلاً عن عامة الناس، ونهضة في الطرق والجسور والانفاق، وفي الهاتف والبريد، ونهضة في الإعلام، وفي شتى المجالات، وصاحب هذه النهضات نهضة كبرى في مجال التعليم.

ومما يدل على اهتمام حكومتنا الرشيدة بالعلم والتعليم أنها أنشأت وزارتين للعناية به أسندت إلى الأولى منهما التعليم ما دون الجامعي، وإلى الثانية التعليم الجامعي، والدراسات العليا.

وككل أمة في كل شأن تبدأ في أمورها بالأهم فالأهم. . . بدأ التعليم عندنا بمَنْ هم في سِنِّ التعليم حتى إذا تخرجت أجيال من أولئك ولم يبق للأمية أثر فيما بينهم فلا تجد صبياً أو شاباً لم ينل حظه من التعليم عادت الدولة وفقها الله إلى مكافحة الأمية في الكبار حتى لا يبقى في مجتمعنا كله أميّ بإذن الله.

وقد استفاد التعليم في شتى مجالاته ومستوياته من أحدث النظريات

العلمية واستعمل أحدث الأجهزة والمعدات وكل ما من شأنه نجاح العملية التربوية فحققت ثمارها وما زال موسم الحصاد جارياً.

ومما لا شك فيه أنَّ تعليم الكبار يختلف عن تعليم الصغار ذلكم أن الطفل الصغير بحاجة ماسة إلى أن نراعي حاجته إلى ناحيتين: إدراك اللفظ... وإدراك المعنى... في آن واحد، فنختار له الألفاظ الموجزة ذات المعاني السهلة، أما الكبير رجلاً كان أم امرأة فإنه بحاجة إلى واحدة من هاتين الناحيتين أعني الألفاظ الموجزة دون الالتزام بالمعاني التي تناسب سِنَّ الطفولة... ذلكم أنه تجاوز مرحلة غموض المعاني وأصبح يفهم ما يقرأ له وإن سَمَا معناه...

بعبارة أخرى أن من المناسب أن نضع للطفل في القراءة نحو «هند تطبخ» و«سعاد تكنس» و«خالد يقرأ» لكنه لا يناسب الكبار، بل يناسبهم أن تكون العبارة إما آية قصيرة، أو حديثاً موجزاً أو حكمة مفيدة، أو دعاء مأثوراً، فيستفيدون مع تعلم اللفظ معاني سامية لا تقصر عنها أفهامهم ولا تعجز عنها مداركهم، فنضع لهم نحو: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ و﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ٦﴾ و﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ ونحو «إنما الأعمال بالنيات» و«الطهور شطر الإيمان» و«كل تسبيحة صدقة» ونحو «النظافة من الإيمان» و«الصبر مفتاح الفرج» و«صوموا تصحوا» وغير ذلك من العبارات الموجزة يستفيدون من ألفاظها قراءة... ومن معانيها عقيدة وسلوكاً... فنحقق هدفين ساميين في آن واحد.

ومثل ذلك يقال في مقررات قواعد النحو فلست أدري لم يضرب مؤلفوها أمثلةً... جاء زيد، وضرب زيد عمراً، ومررت بزيد، فيضربون أمثلة ميتة لا حياة فيها، وفوق ذلك متشابهة تؤدي إلى الخلط واللبس في أذهان الطلاب، لم لا يضربون أمثلة حية من القرآن، والسنة، والشعر،

والمثل، والحكمة، تماماً كما يفعل مؤلفو كراسات الخط فنتعلم منهم الخطَّ الجميل، والمعنى الحسن.

* * *

وفّق الله الجميع وسدّد الخطى إنه سميع مجيب..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

■ ■ ■



الفهرس

الموضوع	الصفحة

■■■

